

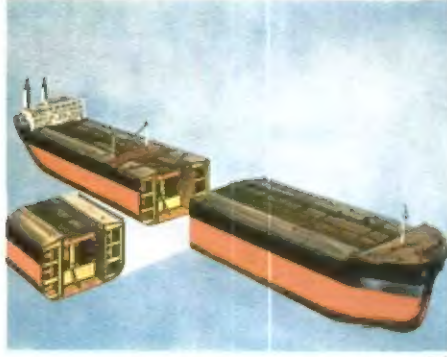
قافلة الزيت

ذو القعدة ١٤١١م - أغسطس / سبتمبر ١٩٩١م





٢٩



٢٤



١٣

قافلة الزيت

العدد الحادي عشر المجلد التاسع والعشرون
الرقعة ١٤٨٠ - أغسطس سبتمبر ١٩٩١

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو خليجها
ذات العلاقات العامة

المؤلفون

صندوت البريد رقم ١٣١٩
الضهران - شبكة العربية السعودية

توزيع مجتهد

المدير العام : فيصل محمد البسام

المدير المسؤول : إسماعيل إبراهيم نواب

رئيس تحرير : عبدالله حسين الغامدي

محرر مساعد : عوني أبو كشك

• جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

• كل ما ينشر في قافلة زيت يُعتبر من آراء أصحابه
ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن أي جهة

• يجوز إعادة نشر الموضوعات التي تظهر في القافلة
دون إخطار مسبق على أن لا تُذكر المصادر

• لا تقبل القافلة إلا الموضوعات التي لا يسبق نشرها

صورة الغلاف :

دومة قبة بريئة (طبيب نوح من العلي بن ماري الرضا)
الرقعة وهو المفاخرين بمسابقة أوكولدم والتميز

١ الزكاة في الإسلام ودورها في خدمة المجتمع الإسلامي د. أحمد جمال العمري

٦ عبدالله بن إدريس (لقاء) علي الدميني

٩ التصنيف الصوتي للحروف في كتاب سيبويه إبراهيم الشنات

١٣ تقريب الدراسة في الكليات العليا العربية (العودة) إبراهيم أحمد الشنطي

٢٠ كانت أيام حزن حسن سليمان

٢٤ تقليص حجم ناقلات الزيت يعقوب سلام

٢٩ من معارك الإسلام الفاصلة ، معركة بيت المقدس د. محمد بن علي الهرفي

٣٢ حول تخطيط المناطق الصناعية وتنفيذ منشآتها حمزة شبلق

٣٧ العودة القصيدة عبد الرحمن عبد الكريم العبد

٣٨ تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام أمال حسين بحدادي

٤٢ مزيد من الرسوم واللوحات الفائرة

في مسابقة أرامكو للأطفال في الرسم والتصميم

٤٦ أخبار الكتب

٤٧ المشكوات

إسماعيل أحمد إسماعيل

الزكاة في الإسلام

ودورها في خدمة المجتمع الإسلامي

بقلم: د. أحمد محمد العري

مشروعاً ، فكل كسب يأتي بغير جهد - عدا الميراث - هو حرام ، ومن هنا حرمت عقود الغرر ، وحرم بيع غير الموجود ، لأنه كسب الحظ فيه هو مصدره .

ثانياً : أن المال أصلاً هو مال الله « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » (٣) والناس مستخلفون فيه « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (٤) .

فالمال وديعة بين أيدينا نمتحن بحسن رعايتها ، وردّها إلى صاحبها ، بعد إدارة نافعة يعود خيرها على أكبر عدد من الناس . ثالثاً : أن خير القربات إلى الله الإنفاق في سبيل المصاحبة العامة « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » (٥) .

رابعاً : إن شر ما يفعله الناس هو إكتناز المال وحبسه عن التداول ، والاستعلاء بالمال . « وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً » (٦) .

خامساً : ليس لمن حرم المال أن يحسد الناس على ما آتاهم الله منه ، فهو رائج غاد ، ولا يبقى إلا العمل الصالح .

سادساً : الإسراف مكروه ... « الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » (٧) .

سابعاً : من لا يحسن استعمال المال وإدارته ترفع يده عنه . ثامناً : المال لا يلد مالا ، وإنما الذي يلد المال : العمل ، « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » (٨) .

تاسعاً : هناك الكثير من الأخلاق الاقتصادية التي يدعو لها الإسلام ، كالوفاء بالعقود ، وتحريرها بالكتابة ، وإحسان الوزن والكيل ، والنهي عن الغش ، وتحريم الإحتكار . عاشراً : نظام الميراث في الإسلام ، الذي يفتت الثروة ، ويمنع تجميعها وتركيزها .

هذا الإطار العام ، الذي قد يبدو فضفاضاً يتيح للمشتغلين والمتحايين على القانون مجالاً فسيحاً .. هو في واقع الأمر ضيق غاية الضيق ، مع العقيدة الصالحة ، مانع كل استغلال للمال ، والسعي في الاستكثار منه ولو عن طريق حلال ، داع إلى سد حاجات المجتمع ، وإلى مكافحة الفقر ، وسد المنافذ إليه .

الزكاة .. هي الركن المالي الاجتماعي من أركان الإسلام الخمسة ، وبها - مع التوحيد وإقامة الصلاة - يدخل المرء في عداد جماعة المسلمين ، ويستحق عضويتهم وأخوتهم ، والانتماء إليهم ، كما قال الحق سبحانه : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين » (١) .

وهي - وإن كانت تذكر في باب العبادات باعتبارها شقيقة للصلاة - تعد في حقيقة أمرها جزءاً من قيم الإسلام ، ونظامه المالي والاجتماعي ، ومن هنا أخذت مكانها في كتب السيادة الشرعية والمالية ، وعنى علماء الإسلام ببيان أحكامها وأسرارها كل في دائرة اختصاصه .

لقد جعل الإسلام الزكاة ركناً من أركانه ، وشعيرة من شعائره ، وعبادة من عباداته ، يودّيها المسلم بوصفها فريضة دينية مقدسة ، امتثالاً لأوامر الله ، وإبتغاء مرضاته ، طيبة بها نفسه ، خالصة بها نيته حتى تحوز القبول عند الله تعالى .

« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » (٢) . فالزكاة في شرع الإسلام ، يقوم بها المسلم جزءاً من التكليف الإلهي للإنسان ، الذي استخلفه الله في أرضه ، ليعبده تعالى ، ويعمرها بالحق والعدل ، ليحني ثمرته في دار أخرى .. فهو يعد ويصقل ويصهر في بوتقة التكليف والإبتلاء في هذه ، ليصلح للخلود والتعميم في الدار الباقية الأخرى .

وهنا نقف قليلاً لتعرف على .. منهج الإسلام القائم على العقيدة .. في مجال المال ، ثم .. حق الله في المال ، ثم .. أهداف الزكاة بالنسبة للفرد المسلم ، وأخيراً .. دور الزكاة في خدمة المجتمع الإنساني .

• منهج الإسلام في مجال المال :

لقد وضح الإسلام - بآيات القرآن أولاً ، ثم بسنة رسول الله ثانياً - قواعد عامة ضابطة لاستنبات المال ، ثم لاستعماله وتوزيعه ، تقلّم أظافر المال ، لتقلل من ضرارته ، وتجعله في خدمة المسلمين ، لا غولا يلهتهم سعادتهم ، ويهدد أمنهم . وحتى لا نتوسع في القول ، نورد هذه القواعد في إجمال وإيجاز :

أولاً : لا مصدر للمال إلا العمل ، ولا بد أن يكون عملاً

(٣) النور - ٣٣ . (٤) الحديد - ٧ .

(٥) آل عمران - ٩٢ . (٦) سبأ - ٣٧ .

(٧) الفرقان - ٦٧ . (٨) البقرة - ٢٧٥ .

(١) سورة التوبة (١١) . (٢) البينة - (٥) .

وإلى جانب هذه المبادئ ، قواعد تملئها العقيدة وترتفع بها إلى مستوى القانون الملزم .. منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (أى أهل عرصة أصبح فيها أمروء جائعا ، فقد برئت منهم ذمة الله تعالى) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم) .

فإذا لم توجد العقيدة الصحيحة ، فقد تساوت الأنظمة المالية كلها فيما تنتجه من الاستغلال السيئ للمال . أمام العقيدة الصالحة ، ذات المبادئ الواضحة - كشرعية الإسلام - فقد أمكن سن الشرائع المنظمة للمال ، المقيدة له ، المانعة من تملك أنواع منه . كما وضعت الأسس التي تحدد حق الله في المال .. وكانت من عدة وجوه .

أولها : في المعيار الذي يازم الإنسان به نفسه في تقدير نفقاته الخاصة ..

وثانيها : في وسائل تحصيل المال وتنميته .
وثالثها : في تحديد ما يؤخذ لصالحه من أموال الأفراد ، كالزكاة .
والإنفاق في سبيل الله .

فيما يتصل بالوجه الأول : فقد جاء قول الحق في تحديد هذا المعيار : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوما محسورا » (٩) .. كما جاء في هذا الشأن أيضاً - عند وصف عباد الرحمن ، وهم المتقون المؤمنون .. « .. والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما » .

فإذا خرج الإنفاق عن حد القوام (وهو الوسط) ، كان إما إلى الشح والبخل ، وإما إلى التبذير والإسراف .

الوجه الثاني : وفيه تمتد رعاية جانب الله في المال إلى وسائل تحصيله وتنميته .. لأن حق الله في المال كل لا يتبعض . فلا يجوز أن يكون معيار الإنفاق الشخصي سليما ، في حدود الاعتدال ، ثم تكون وسائل تحصيله وتنميته ضارة بالاعتبار البشري ، وقائمة على إهدار الكرامة الإنسانية .

ولذا فذكر الله في كل شأن مالي ضرورة يملئها منطق ملكية الله للمال أصلا .. وإذا كان حق الله في المال هو لمصلحة الجماعة الإسلامية عامة ، ولتغطية حاجات المحتاجين فيها ، فمن المحرم قطعاً أن تكون وسائل السعي إلى إنمائه على حساب المصلحة العامة ، أو على حساب المحتاجين . ومن هنا كان الربا حراما . وأكل مال اليتيم حراما ، وأكل أموال الناس بالباطل عن طريق الرشوة للحاكم حراما ، وعدم إيفاء الكيل والميزان حراما .

- ويلحق بالربا كل ربح أو ثمرة جاءت نتيجة لعدم بذل أي جهد بشري من جانب ، واستغلال ضعف ذي الحاجة الملحة من جانب آخر .

- ويلحق بأكل مال اليتيم : كل ما جاء ربعا لاستغلال عاجز عن مباشرة المال في حفظه أو إنمائه ، وعاجز عن مقاومة من تحت يده المال .

- ويلحق بعدم إيفاء الكيل والميزان : كل ما يتعلق بقوت الأفراد ومعاشهم الأساسي مما يسبب لهم ضررا أو حرمانا .

(٩) سورة الاسراء - ٢٩ .

فهذه صور من الوسائل المحرمة التي انعدمت فيها رعاية حق الله في المال ، تكشف عن قاعدة أساسية يرد إليها الأمر في حله وحرمة ، وهي : كل ما يحفظ للضعفاء حقهم في المال ، وحقهم في تجنب الأضرار والإيذاء ، وحقهم في الاعتبار الإنساني ، فهو حلال روعي فيه حق الله ، وكل ما خلا من ذلك فهو حرام لم تتوفر فيه رعاية جانب الله .

- الوجه الثالث : وفيه تستمر رعاية جانب الله في المال ، إلى تحديد حق الله ، ومقدار ما يؤخذ لصالحه من أموال الأفراد .

والإسلام - كأساس من أسسه - ينفر من الإكراه الخارجي ، ومن إلزام الإنسان من غيره بشيء يؤديه ويؤثر أن يكون عمل الإنسان ترجمة لاختياره ووفقا لإرادته ، وأن يكون بوحى ضميره ، ومن واقع ذاته . ولا يؤجر الإنسان من الله عن عمل له ، إلا إذا كان قد قصد إلى هذا العمل . وجاء نتيجة الإيمان به . (قل اتفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم ، إنكم كنتم قوما فاسقين) ، (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله) ، (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) (١٠) .

ومع إثبات الإسلام للمشيئة في العمل من الإنسان ، فإنه لا يتوانى في فرض الإلزام . إذا توقف صالح المجتمع الإسلامي عليه ، كانتزاع الأموال من أيدي السفهاء ، وكإعلان العناصر التي بقيت تتعامل بالربا في الجماعة الإسلامية بالحرب من الله ورسوله ، وغير ذلك كثير من الأمثلة التي جاء بها الفقه الإسلامي .

ومن المهم أن نذكر - إنه عن إثبات الإسلام لإرادة الإنسان في العمل دون إكراهه عليه ، سلك الإسلام طريقين في تمييز حق الله في أموال الأفراد .

الطريق الأول : فرض الزكاة عبادة .
أما الطريق الثاني : فلم يكن بالفرض والتكليف . وإنما بالحث والنداء والدعوة ، والتوجيه والإقناع .

- فيما يتصل بالطريق الأول - فرض الإسلام الزكاة تأمينا للصالح العام ، ووقاية للمجتمع الإسلامي من أضرار الفاقة والعوز . وبفرضها يجب على المكلف - صاحب المال - أدائها ، فإذا امتنع أكره عليها ولو بمحاربته ، كما فعل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في حرب الردة .

وفي الوقت نفسه ، جعل الإسلام هذه الزكاة عبادة ، حتى يميل بها إلى المشيئة والذاتية ، ويدفع عنها صورة الإلزام والوجوب في الأداء ، إذ من شأن العبادة أن تؤدي في رضا ، وفي متعة نفسية ، لأن العبادة لا تخرج عن كونها قربى إلى الله .

ومع وضوح معنى العبادة في الزكاة ، فإن هناك أهذا إنسانية جليلة ، ومثلا أخلاقية رفيعة ، وقيما روحية عليا ، كان الإسلام يقصد إلى تحقيقها وتثبيتها من وراء فريضة الزكاة ، كما نهت إلى ذلك الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية .. كما التفت إلى ذلك كثير من محققي علماء الإسلام .

وحين طبق المسلمون في العصور الأولى شريعة الزكاة ، كما أمر الله ورسوله ، تحققت هذه الأهداف الجليلة ، وبرزت

(١٠) سورة التوبة ٥٣ - ٥٥ .

آثارها في حياة الفرد المسلم ، والمجتمع الإسلامي ماثلة للبيان .
وهذه الأهداف ليست مادية فحسب ، ولا معنوية فحسب ، بل تشمل الجانبين المادي والمعنوي ، وتعني بالأهداف الروحية والأخلاقية عنايتها بالأهداف الاقتصادية والمالية ، فهذه الأهداف ليست فردية فقط ، ولا اجتماعية فقط ، بل منها ما يعود على الفرد ، سواء كان معطيا للزكاة أم أخذها لها ، ومنها ما يعود على المجتمع الإسلامي وتحقيق أمنه ، وحل مشكلاته .

• أهداف الزكاة بالنسبة للفرد المسلم :-

إن الزكاة التي يؤديها الفرد المسلم ، امتثالاً لأمر الله ، وإبتغاء لمرضاته ، إنما هي تطهير له من أرجاس الذنوب بعامه ، ومن رجس الشح بخاصة ، ذلك الشح الذميمة الذي أحضرته الأنفس ، وأبتلى به الإنسان ، فقد شاء الله أن يغرس في حنايا الإنسان مجموعة من الدوافع النفسية أو الغرائز ، تسوقه سوقاً إلى السعي في الأرض وعمارتها ، فكان منها حب التملك ، وحب الذات ، وحب البقاء ، وكان من آثار هذه الغرائز أو التوازع شح الإنسان بما في يده ، وجه الاستئثار بالخيرات والمنافع دون الناس .

« وكان الإنسان قتورا » (١١) .. « وأحضرت الأنفس الشح » (١٢) .

فكان لابد للإنسان المؤمن أن يستعمل على نوازع الأثرة والأنانية في نفسه ، وأن ينتصر على نزعة الشح ببواعث الإيمان ، ولا فلاح له في دنياه أو آخرته ، إلا بالانتصار على هذا الشح المقيت .

فالشح آفة خطيرة على الفرد وعلى المجتمع ، قد تدفع من أتصف بها إلى الدم فيسفكه ، وإلى الشرف فيدوسه ، وإلى الدين فيبيعه ، وإلى الوطن فيخونه .. ولذا روي عن المصطفى صلى الله عليه وسلم - أنه جعله أحد المهلكات فقال : (ثلاث مهلكات ، شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه) (١٣) . وقال الله سبحانه : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (١٤) .

خطب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : (أياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح ، أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا) (١٥) .

فالزكاة بهذا المعنى طهورة ، أي تطهير صاحبها من خبث البخل المهلك ، وإنما طهارته بقدر بذله ، وفرحه بإخراجه ، واستشاره بمصرفه إلى الله تعالى .

والزكاة كما تحقق معنى التطهير للنفس - تحقق معنى التحرير لها تحريرها من ذل التعلق بالمال والخضوع له ، ومن تعاسة العبودية للدينار والدرهم ، فإن الإسلام يحرص على أن يكون المسلم عبداً لله وحده ، متحرراً من الخضوع لأي شيء سواه ، سيداً لكل ما في هذا الكون من عناصر وأشياء .

وأي تعاسة أعظم من أن يجعل الله الإنسان في الأرض خليفة وسيدا ، فإذا هو يعبد نفسه لما عليها من مادة ومال ؟ .. أي تعاسة

أعظم من أن يصبح جمع المال هدف الإنسان وأكبر همه ، ويبلغ علمه ، ومحور حياته ، وقد خلق لرسالة أكبر وهدف أسمى ؟
وكما أن الزكاة تطهير لنفس المسلم من الشح ، فهي أيضاً تدريب له على خلق البذل والاعطاء والإنفاق ، فمما لا خلاف فيه بين علماء التربية والأخلاق ، أن للعادة أثرها العميق في خلق الإنسان وسلوكه وتوجيهه ، ولهذا قيل : (العادة طبيعة ثانية) ومعنى ذلك أن للعادة من القوة والسلطان ما يقرب من الطبيعة الأولى التي ولد عليها الإنسان .

والمسلم الذي يتعود الإنفاق وإخراج زكاة زرعه كلما حصد ، وزكاة دخله كلما ورد ، وزكاة ماشيته ونقوده وقيم أعيانه التجارية ، كلما حال عليها الحول ، ويخرج زكاة فطره كل عيد من أعياد الفطر .. هذا المسلم يصبح الاعطاء والإنفاق صفة أصيلة من صفاته ، وخلقاً عريقاً من أخلاقه ، ومن ثم كان هذا الخلق من أوصاف المؤمنين المتقين في نظر القرآن .. كما في قوله تعالى :

« ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون » (١٦) .

• دور الزكاة في خدمة المجتمع الإسلامي :

تعتبر الزكاة الضمان الأول في استمرار المجتمع الإسلامي ، لذلك حرص الإسلام على أن يفصل مصروفها ، وما تنفق فيه ، كي يغطي جميع الجوانب الضرورية في حياة المجتمع بما هو ضروري وأساسي في المحافظة على الكيان الذاتي ، فتذكر آية سورة التوبة : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم » .

والتعبير (بالصدقات) هنا قصد به الزكاة الواجبة ، بدليل ما جاء في آخر الآية من قوله (فريضة من الله) فليس هناك إنفاق فرض على المكلفين المسلمين من أصحاب الأموال .. إلا الزكاة .

وفي تفصيل مصرف الزكاة على هذا النحو يلاحظ أن الإسلام إن عني بالفقراء والمساكين ، فقد عني بجوانب أخرى ، لو تركت لكانت هناك ثغرات للضعف في بناء المجتمع الإسلامي نفسه .

— فالمؤلفة قلوبهم .. هم الفريق في الجماعة الذي لو ترك وشأن إيمانه - ربما كان شراً على المؤمنين ، ولو أعين ودفع له تحول إلى نفع يفيد منه المجتمع الإسلامي ، فهو هزيل بليدانه ، قوي في الانتفاع به .

— والرقاب .. قصد منها تحرير الأفراد المؤمنين الذين لم يزالوا مسترقين . ويلاحظ بهؤلاء المجموعات أو الشعوب المستعمرة في نظام الاستعمار الغربي منذ القرن التاسع عشر . ووضع الإسلام أهمية على تحرير الأرقاء والمستعمرين من المؤمنين ، يجعله أحد المصارف الضرورية مما يحصل من زكاة المسلمين ، يوضح إلى أي مدى قيمة الفردية والجماعية للإنسان ، كما يفيد أنها لا تقل شأنًا واعتباراً عن ملء البطون لأصحاب العوز والحاجة .

— والغارمون .. هم أولئك المؤمنون الذين تدينوا بسبب الصالح

العام ، أو أدوا خدمات تجاوزت أموالهم ، أو الذين تداينوا بسبب كارثة أو نكبة ، ومثلهم الذين يتعرضون لترك أموالهم وممتلكاتهم تحت ضغط العدو أو اضطهاده .

— وفي سبيل الله .. هو محض الصالح العام الذي لا تفيد منه طبقة معينة أو مجموعة خاصة من الأفراد ، وإنما نفعه يعود على الأمة الإسلامية كلها ، كتنقية الجيوش ، وتحصين الحدود ، وبناء المصانع والسدود ، والدعوة إلى المبادئ الإسلامية ، التي يقوم عليها المجتمع في داخله أو في خارجه .

وتتضح هنا حقيقة هامة ، وهي أن من هذه الأهداف ، ما له صبغة دينية سياسية ، لأنه يتصل بالإسلام بوصفه ديناً ودولة ، وذلك ما يشير إليه سهماء (المؤلف قلبهم) ، (وفي سبيل الله) .

إن هذين المصرفين يقتضيان أن تكون لهذا الدين جماعة ودولة ، تجمع الزكوات من أربابها بواسطة (العاملين عليها) ثم تنفق منها على نشر دعوته ، وإعلاء كلمته ، والدفاع عن حوزته ، وذلك بتأليف القلوب عليه ، ودعوة الشعوب إليه ، فإنها دعوة إلى (سبيل الله) (١٧) .

وقد اقترن بهذا الجانب : الإيمان بالله في كثير من آيات القرآن العظيم ، ويعتبر الشعار الواضح للإسلام . من ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » (١٨) . وفي حديث القرآن عن المؤمنين ، كثيراً ما يجعل الإنفاق في سبيل الله جزءاً من استحقاقهم وصف المؤمنين ، « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » . إن اقتران الإنفاق في سبيل الله — بالإيمان بالله ، وجعلهما عنصرين متكافئين في تقييم الإنسان ، يثير مدى إهتمام الإسلام بالصالح العام في المجتمع الإسلامي ، كما يفيد من جانب آخر — أن المصارف الأخرى التي عددها آية الزكاة السابقة ، مع مصرف (سبيل الله) قصد من تغطيتها إغلاق جميع نوافذ الضعف في بناء المجتمع الإسلامي ، وهي نوافذ الحقد والسخط البشري ، التي توجد بين الأفراد ، أو بعض الطوائف والمجموعات .

— إن الزكاة جزء من نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام . ذلك التكافل الذي لم يعرفه الغرب إلا في دائرة ضيقة ، هي التكافل المعيشي ، بمساعدة الفئات العاجزة والفقيرة .. عرفه الإسلام في دائرة أعمق وأوسع ، بحيث يشمل جوانب الحياة المادية والمعنوية ، فهناك التكافل الأدبي ، والتكافل العلمي ، والتكافل السياسي ، والتكافل الدفاعي ، والتكافل الجنائي ، والتكافل الأخلاقي ، والتكافل الاقتصادي ، والتكافل العبادي ، والتكافل الحضاري ، وأخيراً التكافل المعيشي ، وهو الذي خصص اليوم خطأ بإسم التكافل الاجتماعي .

التكافل الاجتماعي — وإن كان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالزكاة ،

إلا أنه — كما يقول الدكتور القرضاوي (١٩) — نظام أشمل وأوسع كثيراً من الزكاة ، لأنه يتمثل في عدة خطوط تشمل فروع الحياة كلها ، ونواحي الارتباطات البشرية جميعاً ، والزكاة خط واحد من هذه الخطوط وهي تشمل ما يسمى الآن : (بالتأمين الاجتماعي) و (الضمان الاجتماعي) مجتمعين .

والفرق بين التأمين والضمان ، أن كل فرد في التأمين يؤدي قسطاً من دخله في نظير تأمينه عند عجزه الدائم أو المؤقت . أما في الضمان — فإن الدولة هي التي تقوم بها من ميزانيتها العامة بدون أن يشترك أفراد المجتمع بأداء قسط معين ، وإن كثيراً ممن يؤدون الزكاة في عام ، قد يكونون في العام التالي مستحقين للزكاة بنقص ما في أيديهم عن الوفاء بحاجاتهم ، أو حلول كوارث جعلتهم يستدينون على أنفسهم وعيالهم . فالزكاة من هذه الناحية تأمين اجتماعي .

وهناك آخرون لم يكونوا ممن وجبت عليهم الزكاة من قبل ، ولم يساهم بشيء في حصيلة الزكاة ولكنه يستحقها لفقره وحاجته ، فهي من هذه الناحية ضمان اجتماعي (٢٠) .

بيد أن الزكاة في الواقع أقرب إلى الضمان منها إلى التأمين ، لأنها لا تعطي الفرد بمقدار ما دفع كما هو الشأن في نظام التأمين ، وإنما تعطيه بمقدار ما يحتاج إليه ، قل ذلك أو كثر .

إن الزكاة بذلك تعد أول تشريع منظم في سبيل ضمان اجتماعي ، لا يعتمد على الصدقات الفردية التطوعية ، بل يقوم على مساعدات حكومية دورية منتظمة ، مساعدات غايتها تحقيق الكفاية لكل محتاج في المجتمع ، الكفاية في الطعام والملبس والسكن وسائر الحاجات ، لنفس الشخص ، ولبن يعوله في غير إسراف ولا تقتير . لذلك — فإن الزكاة في الإسلام — تسد كل ما يتصور من أنواع الحاجات الناشئة عن العجز الفردي أو الخلل الاجتماعي ، أو الظروف العارضة التي لا يسلم من تأثير بشر .

يقول الإمام الزهري لعمر بن عبد العزيز عن مواضع السنة في الزكاة : (إن فيها نصيباً للزمني والمقعدن ونصيباً لكل مسكين به عاهة لا يستطيع عيله ولا تقبلاً في الأرض . ونصيباً للمساكين الذين يسألون ويستطعمون (أي حتى يأخذون كفايتهم ولا يحتاجون بعدها إلى السؤال) ، ونصيباً لمن في السجون من أهل الإسلام ، ممن ليس له أحد ، ونصيباً لمن يحضر المساجد من المساكين الذين لا عطاء لهم ولا سهم (أي ليس لهم رواتب ولا معاشات منتظمة ولا يسألون الناس) ، ونصيباً لمن أصابه فقر وعليه دين ، ولم يكن شيء منه في معصية الله ، ونصيباً لكل مسافر ليس له مأوى ، ولا أهل يأوى إليهم ، فيؤدى ويطعم وتعلف دابته حتى يجد منزلاً أو يقضي حاجة) (٢١) ..

فهو ضمان شامل لكل أصناف المحتاجين ، وكل حاجاتهم المختلفة بدنية ونفسية وعقلية .

— وفوق ذلك كله — فإن للزكاة أهدافها وآثارها في تحقيق المثل العليا التي تعيش لها الأمة الإسلامية ، وتعيش بها ، وفي رعاية

(١٩) فقه الزكاة ٢ / ٨٨٠ .

(٢٠) سيد قطب : في ظلال القرآن ١٠ / ٨١ .

(٢١) الأموال ص / ٥٧٨ .

(١٧) د . يوسف القرضاوي : فقه الزكاة ٢ / ٨٧٩ طبع مؤسسة

الرسالة بيروت .

(١٨) الصف — ١٠ .

مقوماتها الروحية التي يقوم عليها بناؤها ، ويبني كيانها ، وتتميز شخصيتها ..

والأمة - كما يقول الأستاذ البهي الحولي - بمقوماتها الروحية ، لا بمقوماتها الحسية فحسب ، بل إن المقومات الحسية لا قيمة لها في بناء الأمة ، ودعم كيانها بدون المقومات الروحية ، لذا نرى الإسلام يحفل بها ، ويجعل الإنفاق من مال الجماعة على رعايتها ودعمها فريضة لازمة ، فهي للكيان المعنوي كالشراب والطعام للكيان الحسي ، وقد أصل الإسلام تلك المقومات الروحية في ثلاثة أصول أشارت إليها آية مصارف الزكاة .

الأصل الأول : توفير الحرية لكافة أفراد المجتمع ، ولكنه في هذا المقام ينص على فريضة فك الرقاب ، أي تحرير الأرقاء من ذل العبودية ، وذلك أول ما عرفت الإنسانية قاطبة من سمو التشريع في تحرير الأرقاء ، أن يجعل تحريرهم فريضة على المسلمين ، بسهم من أموالهم مقرر ، وقد جاء هذا الحق في آية الزكاة في قوله تعالى (وفي الرقاب) .

والأصل الثاني : بعث همم الأفراد ، ومواهب المروءة فيهم إلى بذل المكرمات التي تحقق للمجتمع الإسلامي منافع أدبية أو حسية ، أو ترد عنه مكروها يوشك أن يقع . ذلك أن في الأفراد طاقات لا حد لها في حب الخير ، والاستعداد لمختلف الخدمات الاجتماعية ، وهي كمواهب العقل ، لم يخلقها الله سدى ، بل خلقها لتحقيق ذاتها ، وتؤدي وظيفتها في الحياة ، فإن تشجيع مواهب المروءة الفطرية في الأفراد أحق وأولى ، لا لثمارها وما تبذل من مثل كريمة في الحياة فحسب ، بل لأنها أيضاً هي السبيل الذي يعد لنا الرجال ذوى القيم ، ويخرج للأمة ثروتها الأساسية من النفوس السامية الكريمة ، فإنه ليس أفضل من فعل الخير إلا النفس التي فعلته ، والنية التي بعثته . والأمة التي تعنى بهذا الطراز ، تعنى بأسباب القوة ودعمات المجد كله ، وكفائها شرفاً وأهلية للحياة ما تشيع من عزائم الخير ، بل كفائها برا بالحق وبالحياة وبنفسها أنها تستخرج من مناجم النفوس والفطر أئمن كنوزها ، وأشرف معادنها ، وتهب للحياة أشرف معانيها ، وترقي بالإنسانية إلى أكرم قيمها وذلك هو المثل الأعلى ، الذي أراده الله للإنسانية وللحياة .

والأصل الثالث : رعاية العقائد والتعاليم التي نزلت لتركبة مبادئ الفطرة في الإنسان ، وبخاصة إحكام الصلة بالله ، وتبصير الفرد بغايته من الحياة ، وبطوره الأخرى ، الذي هو صائر إليه ، ولا بد بحكم تطوره في مراحل الأزل ، وهو ما جاء في الآية نفسها (وفي سبيل الله) (٢٢) .

وبرعاية هذه الأصول الثلاثة تكون الزكاة قد قامت بدورها في تثبيت القيم العليا ، والمقومات المعنوية الأصيلة ، التي يحرص عليها المجتمع الإسلامي بل يقوم عليها كيانه ، وبهذا يتحقق التكافل والتساند في الحياة الإسلامية ، وفي كافة النظم الإسلامية . فالزكاة وإن كانت نظاماً مالياً في الظاهر ، فهي لا تنفصل عن العقيدة ، ولا عن العبادة ، ولا عن القيم والأخلاق ، ولا عن السياسة والجهد ، ولا عن مشكلات الفرد والمجتمع ، والحياة والأحياء .

(٢٢) الإشتراكية في المجتمع الإسلامي ص ١٤١ - ١٤٤ .

بقي أن نذكر الطريق الثاني ، الذي سلكه الإسلام في تمييز حق الله في أموال الأفراد ، وهو الطريق الذي لا يقوم على القرض والتكليف - كما ذكرنا - وإنما يعتمد على النداء والدعوة ، والتوجيه والاقناع .. أو قل على الحث على الإنفاق .

ويكاد يكون موضوع الحث على الإنفاق في سبيل الله - عدا الزكاة - معادلاً في أسلوب القرآن وآياته للحث على الإيمان بالله ، حتى يصبح المؤمن آخذاً في مفهوم إيمانه - الإنفاق في سبيل الله كجزء لا يتجزأ من إيمانه ومن تصديقه .

والأسلوب القرآني في النداء والدعوة والتوجيه نحو الإنفاق الاختياري يعتمد على الترغيب ، كما يركن إلى التحذير والترهيب . كقوله تعالى مرغياً : « ومثل الذين ينفقون أموالهم إبتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأنت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير » (٢٣) ، وكقوله سبحانه : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم » (٢٤) ، وكقوله محذراً ومنذراً : « ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم ، بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » (٢٥) . وقوله جل وعلا : « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » (٤) .

والتحذير هنا - ينصب على عدم الإنفاق العام ، بدليل ما يذكر من جملة (في سبيل الله) في كل آية تضمنت تحذيراً مباشراً أو غير مباشر .

وبلغ من أثر النداء والتوجيه القرآني والاقناع بالإنفاق العام ، والترغيب فيه بحيث أصبح في منزلته مساوياً للإيمان بالله على النفوس ، إن سأل بعض المؤمنين عن مقدار ما ينفق في سبيل الله ، أو وراء الزكاة ، فكان قوله تعالى : « ويسألونك ماذا ينفقون » (٢٧) .. وكان الجواب : « قل العفو ، كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » . والعفو في المال ، هو الزائد عن حاجة الإنسان ، وحاجة من يعوله وتجب عليه نفقته .

وطالما إن الإنفاق في سبيل الله وراء الزكاة ، يتبع اختيار الإنسان ودرجته في الإيمان ، فليس هناك مقياس معين للعفو في المال ، وليس هناك مقياس يصح الاختلاف فيه ، إذ ليس هناك مكان للاختلاف ، لأنه ليس هناك مكان قبل ذلك للطلب والإلزام .. والأمر موكول إلى إيمان المؤمن ، وإلى تقديره الخاص ، وإلى مقدار تقربه من الله ، وأمله في رضاه .

وكلما كانت الدعوة إلى الله قوية والإيمان به قويا ، كان المؤمن أكثر تفاعلاً ، وأوسع إنفاقاً بماله ، وأشد استعداداً للتضحية بماله ونفسه وبأولاده في سبيل الله ، وكلما ركزت الدعوة ، وخف الإيمان في القلوب ، عاش الإنسان في انفصالية بين دينه وبين سلوكه في الحياة ، وبين مجتمعه □

د. احمد جمال العمري - القاهرة

- (٢٣) البقرة - ٢٦٥ . (٢٤) الحديد ١١ .
(٢٥) آل عمران - ١٨٠ . (٢٦) البقرة - ١٩٥ .
(٢٧) البقرة - ٢١٦ .

عبد الله بن إدريس

لأحمد: علي الربيعي



عبد الرحمن بن إدريس وأحمد بن إدريس هما في تنظيم الحركة
للأدوية المحلية ولقد لعبت له الظروف أن يقدم
برور فقه في التدريس بالجامعات الإسلامية
فمن رئيس التحرير جريدة «الدعوة»، وشارك بالكتابة
النقدية في الصحف وقدم كتاب «نور نجد المعاصرة»
ووقف مع الشعراء الذين هم محاربون لحياتنا،
وقد مره من حين لآخر لعنايتي لعضو
على هذه الرحلة الحافلة بالحياة والنشاط
من فناء اللقاء.

إليها في غرة عام ١٣٨٥ هـ . وقمت بتأسيس
وإصدار صحيفة «الدعوة» الأسبوعية التي
مازالت تصدر حتى اليوم ، وقد تحولت إلى مجلة
منذ سنوات . وبذلك أصبحت رئيسا لتحرير
صحيفة الدعوة . ثم مديرا عاما للمؤسسة إلى
جانب رئاسة التحرير منذ مطلع عام ١٣٨٥ هـ
حتى نهاية عام ١٣٩١ هـ .

وقد وضعت خطة لهذه الصحيفة تجعلها
مقروءة من الجميع ، وتمثل تلك الخطة في أن
أجعل الصحيفة مفتوحة الآفاق والمنطلقات ،
تعني في الدرجة الأولى بنشر الثقافة الإسلامية .
وتوعية المجتمعات الإسلامية توعية صحيحة
بعيدة عن الإفراط أو التفريط . كما تعني الصحيفة
بالتثقيف الحي الذي يتفق مع روح الإسلام
في السياسة والاجتماع والأدب والاقتصاد وحتى
الرياضة وغيرها .

■ نود أن نعرف القاريء ، بدورك
وتجربتك عند عودتك إلى وزارة المعارف
وتسلمك مسؤولية «المجلس الأعلى للأدب
والفنون» ؟

وعضوا في هيئة تحرير مجلة الدارة ، وعضوا في
المجلس الأعلى للعلوم والفنون والآداب ، وعضوا
في مجلس إدارة النادى الأدبي بالرياض .
ولقد نشرت عددا من البحوث والدراسات
والمحاضرات في المجلات والصحف والمحلية .
وأصدرت كتابي «شعراء نجد المعاصرون» ،
وألوي طبع ديوان شعري ، كما أنني قد شاركت
في مهرجانات أدبية دولية كمهرجان أبي تمام
في سوريا عام ١٣٨٣ هـ ، وموتمر الأدباء العاشر ،
ومهرجان الشعر العربي الثاني بالجزائر عام
١٣٩٥ هـ ، ومهرجان «المريد» بالبصرة ثم
بغداد عام ١٣٩٤ هـ .

■ هل لنا أن نسمع شيئا عن تجربتك
أو مساهمتك في الصحافة ؟

■ مساهمتي في الصحافة كانت في أول
الأمر ، ولدة خمسة عشر عاما ، تتمثل في الكتابة
الأدبية ، أي بنشر قصائدي ومقالاتي في
الصحف والمجلات المحلية . ثم بعد صدور
نظام المؤسسات الصحفية : أعيرت خدماتي
«للمؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية» ، فانتقلت

■ نرجو أن تحدثنا عن تجربتك العملية
والثقافية عبر مسيرة حياتك الحافلة بالعمل والكتابة ؟
□ بدأت رحلتي مع الحياة عام ١٣٤٩ هـ
١٩٣٠م حيث ولدت في بلدة «حرمه» من مقاطعة
سدیر . وتلقيت علمي الأولية في مدرسة البلدة
ثم سافرت إلى الرياض وتعلمت على يدي المفتي
محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله . وفي عام
١٣٦٩ هـ ، عينت مدرسا بالمدرسة الفيصلية بالرياض
ثم التحقت بعد ذلك بالمعهد العلمي بالرياض
ثم بكلية الشريعة بالرياض ، وبعد تخرجي عينت
مفتشا فنيا على المعاهد العلمية . ومن ثم أعيرت
خدماتي إلى وزارة المعارف كمدير للتعليم الفني
بالوزارة .

وفي مطلع عام ١٣٨٥ هـ ، أعيرت خدماتي
إلى «مؤسسة الدعوة الصحفية» ، حيث أصبحت
رئيسا لتحرير جريدة «الدعوة» لمدة سبع سنين .
وفي عام ١٣٩٦ هـ ، انتقلت إلى جامعة الإمام
محمد بن سعود حيث أعمل حتى الآن
مديرا للثقافة والنشر العلمي . وأصبحت عضوا
في كل من مجلس إدارة «دائرة الملك عبد العزيز»

□ بعد أن تمت مدة إعارة خدماتي لمؤسسة الدعوة، عدت إلى وزارة المعارف .. حيث أسندت إلى مهمة عمل في « المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب » ، فأصبحت أميناً عاماً له حيث أعددت له نظاماً يتضمن صلاحياته وممارساته ويتيح له أن يخدم الحياة الأدبية والعلمية في المملكة خدمة إيجابية . وقد صدرت الموافقة السامية عليه بمرسوم ملكي . وقد اشتمل هذا النظام على لوائح داخلية ومالية ، كما أدخلت عليه تعديلات بحيث يقيه قسماً من الوزارة ، لا هيئة مستقلة ، وجعل تصرفه في وضع اللائحة المالية مربوطاً بوزارة المالية . إلا أن هذا المشروع قد جمد لأسباب لا أعرفها .

■ هل في وسعك أن تعطينا فكرة عما قدمه كتابك « شعراء نجد المعاصرون » للحياة الثقافية المعاصرة ؟

□ لا أستطيع أن أقول عن كتابي « شعراء نجد المعاصرون » أكثر مما قال عنه كبار الكتاب والنقاد في العالم العربي ومنهم - على سبيل المثال - الدكتور محمد مندور ، وعباس محمود العقاد ، وعائشة عبد الرحمن « بنت الشاطئ » ، والدكتور زكي المحاسني ، والدكتور قسطنطين زريق ، والدكتور عبد السلام العجيلي ، والدكتور علي جواد الطاهر ، والدكتور سلمى خضراء الجيوسي ، والشعراء سليمان العيسى ، وفؤاد الحشن ، وسعود عيسى ، والبير أديب ، ومحمد حسن عواد ، وأحمد إبراهيم الغزاوي ، وحسين سرحان ، ومحمد علي السنوسي ، وعشرات غيرهم . وما قاله هؤلاء الأدباء والشعراء عن كتابي هذا : إن له فضل السبق والريادة حيث لم يولف قبله كتاب عن الشعر في نجد على الإطلاق . كما قدم دراسة مركزة عن الشعر في نجد في القديم والحديث ، وعوامل تطور الشعر فيها واتجاهاته ومنطلقاته في العصر الحديث بطريقة مبتكرة ونظريات جديدة .

وقد جاءت اختياراتي للنماذج الشعرية على مستوى رفيع من الدراية والذوق الفني ، فلم أحشر فيه كل ما هب ودب كما فعل الذين جاءوا من بعدي وحاولوا أن يقلدوا عملي لأنهم لا يملكون الأدوات الفنية الأدبية لهذا العمل من عمق الثقافة وفهم قواعد النقد الأدبي .

■ ما هي سمات التطور في أدبنا الحالي مقارنة بأدب جيل الرواد ؟

□ من طبيعة الحياة أن كل جيل يأتي يتوهم أنه أحسن وأكمل وأنضج من الجيل الذي سبقه ، ذلك أن البداية والتي قد تستمر سنين طويلة - ومع ذلك تسمى بداية - تمثل مراهقة أدبية سواء في الشعر أو في القصة أو في النقد الأدبي أو في المقالة العامة غير المتخصصة وكلنا يدرك نفسية المراهق وعقليته ، وإنتاج الشباب قبل مرحلة النضوج غالباً ما يتسم بالبحث عن الغريب ، وكل ما يلفت النظر إليه حتى ولو بالاستهجان والاستخفاف .. وإذا ما أخذنا هذا الواقع في الاعتبار وجب علينا أن نلتصم الجوانب المشرقة في أدب الشباب .. وأتينا لواجدون فيه حتماً ما يشرب بخير ويرهص بعباء أجود .. ولعل من أبرز سمات التطور في أدبنا الحالي مقارنة بأدب بعض جيل الرواد :

• التجديد في الأسلوب عن طريق استخدام اللغة استخداماً حديثاً لا يغير الألفاظ ولكنه يستخدمها بطرق أكثر جدة من ذي قبل . بينما بعض جيل الرواد يقي على الاستعمالات المعجبة كما هي ، دونما تجديد في طرق بنائها واستخدامها .

• بروز الصورة في أدبنا الحديث عند أدباء الشباب الناضجين خلافاً لبعض الجيل الرائد الذي تختلط في أدبه الصور والألوان .

• استخدام الأدباء الشباب الأسطورة - خاصة في الشعر - وهذا تقليد واضح منهم لشعراء سبقوهم بذلك كالشاعر العراقي « بدر شاكر السياب » . وأنا استهجن هذه السمة لأنها ليست من طبيعة بيئتنا . والأدب يجب أن يكون صورة صادقة لواقع البيئة والمجتمع .

• والسمة الأكثر تمييزاً لأدب الشباب عن أدب الجيل الرائد هي سمة الغموض ، والأدباء الشباب عندنا يقلدون زعيم الردة الأدبية « علي أحمد سعيد (أدونيس) » . ودوافع هذا المرتد كدوافع سعيد عقل في مناداته استخدام اللغة العامية اللبنانية بدل الفصحى .

• معظم أدب الشباب في الشعر والقصة لا طعم له ولا لون ، وإن كانت له رائحة وهي رائحة التأثير بنظريات الإنسلاخ من قيمنا الفنية الأصيلة وبخاصة في الشعر ، وهي التي يقف

داعياً إليها محمد الماغوط ، الذي فقد أية موهبة شعرية مع تهالكه عليها .. فذهب يدعو إلى ما يسميه قصيدة النثر .

وقد سلم جيل الرواد من أغلب هذه الرقاعات - إن صح جمع رقاعة « بفتح الراء » على رقاعات - وهي نوع من خفة العقل وضعفه . وليس معنى هذا أن إنتاج جيل الرواد جميعه أجود وأجمل من إنتاج الشباب ... كلا ، ولكنه أفضل من إنتاج كثير من الشباب في الحملة .. والسبب في هذا أن إنتاج الرواد ومن في حكمهم يعبر عن أحاسيس ومشاعر النفس العربية ، ويرز البيئة ويعالج مشاكل المجتمع بل ومشاكل المعاشاة في العالم حيث يعايشها ويعاني ما يعانيه أولئك المضطهدون والمظلومون .. أما شعر بعض الشباب فليس أكثر من تهاويم و « هلوسات » المحمومين ...

■ فيما تبرز سمات الأصالة والمعاصرة في أدبنا المحلي ؟

□ الأصالة والمعاصرة سمتان لا بد من ترادفهما في أي عمل أدبي ناجح ، وهما بارزتان بوضوح في أدبنا المحلي .. إذ لا يستطيع من يقرأ الجيد من أدبنا أن ينكر هاتين السمتين فيه . وأنه يجمع بين الأصالة المستمدة من تراثنا وقيمنا العريقة والمعاصرة المتفتحة على كل جديد في حياة هذا العصر .. وذلك في المضمون والشكل معا .

■ ما رأيك في شعرنا الحديث إلى أين يسير ؟ وهل يؤثر عمر الشاعر على استمرار عطائه ؟

□ شعرنا الحديث ينقسم ، في رأيي وتصوري إلى نوعين : نوع يعتمد القصيدة العمودية أو التفعيلية كوحدة موسيقية في الشكل البنائي ويتشع المضمون غلالة شفيفة من الغموض لا تمنع من معرفة الهدف أو الغرض الذي يرمي إليه الشاعر ولكنها لا تعطيه ذلك مباشرة .. وهذا هو النوع الجيد في شعرنا .

أما النوع الثاني فهو ما أشرت إليه سابقاً .. وهو ما يتسم بالغموض الشديد ، ولا يقوم على تفعيلة موحدة ، أو غير ملتزم بالتفعيلة دائماً ولا بالقافية، فهذا هو النوع الرديء الذي لن يفيد منتجاً ولا المجتمع الذي يتسم إليه منتجاً ، أما ما يسمى بالشعر المنثور أو القصيدة النثرية فهذا شيء لا يعتد به كشيء له علاقة بالشعر .



فالشعر شعر والنثر نثر ولكل منهما معايير وفنونه .

أعتقد أن كتابة الشعر ليس لها علاقة بعمر الإنسان .. وقد حفظ لنا التاريخ مئات الشعراء الذين بلغوا من الكبر عتياً . ومع ذلك بقوا على مقدرة فائقة في نظم الشعر .. لكن له علاقة بصحة الإنسان الجسمية والنفسية والعقلية . فإذا توافرت لدى الشاعر هذه القوى إضافة إلى الوقت الكافي والدوافع والحوافز القوية كالحرية . فإنه يستطيع الاستمرار في نظم الشعر وإنتاجه . مهما بلغ من العمر . وقد يكون للشباب . ولا ريب . ميزة وحرارة الانفعال وقوة التدفق والعطاء .. لكنني لا أراه مرحلة إبداع .

■ أصبح كتابك « شعراء نجد المعاصرون » مرجعاً لدارس الأدب السعودي . فما هي في رأيك الميزة التي يتمتع بها الكتاب من جهة ؟ وما هي أهم مصادر دراسة أدبنا المحلي منذ ٥٠ عاماً ؟ وهل هناك إضافة جديدة إلى كتابك كجزء آخر له ؟

□ ربما كانت أهم ميزات هذا الكتاب أنني ألفته وأنا أشعر بالاحترق الداخلي في نفسي وبما يجب أن يسهم به شعرنا في تقدمنا وتطورنا الحضاري وخدمة ديننا ووطننا وأمتنا . وذلك ناشئ من خلال الدراسة التي جعلتها القسم الأول من الكتاب ثم من القصائد التي نجحت - والحمد لله - في اختيارها والتركيز عليها كنماذج

مشرفة لشعرنا المعاصر وأسباب أخرى أتذكر أنني أشرت إليها في جواب سابق أيضاً .

أما عن الشق الأخير من السؤال فجوابي : نعم . إن شاء الله تعالى . وربما لا يكون جزء آخر وإنما كتاب شامل للشعر والشعراء في المملكة العربية السعودية خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري المنصرم .

■ هناك من يستشف الاقليمية في عنوان كتابك « شعراء نجد المعاصرون » ، بينما نرى من يرفع صوته لدراسة أدبنا ككل فما هو رأيك ؟ □ لو قيل غني أي شيء غير الاقليمية لكان ذلك جائزاً وممكن الحدوث . أما الاقليمية فإنني أمقتها . لأنني اعتبرها من عوامل التفرقة وتشيت قوى المجتمع . وكتاباتي طوال ثلاثين عاماً تشهد بذلك . فكيف يحبذ الاقليمية من يدعو للوحدة الشاملة ؟

ولكن من أين استشفتم هذه الاقليمية ؟ هل من عنوان كتابي « شعراء نجد المعاصرون » ولماذا لم توجه تهمة الاقليمية - مثلاً - إلى الأستاذ عبد السلام السامي الذي أصدر كتابه « شعراء الحجاز في العصر الحديث » قبل بسنوات ؟ وإلى الأستاذ عبد الله عبد الجبار في كتابه « قصة الأدب في الحجاز » ؟ وقبلهما الشيخ محمد سرور الصبان - رحمه الله - والأستاذ إبراهيم فلالي وغيرهم كثير ألفوا كتباً عن منطقة واحدة هي أصغر بكثير من منطقة نجد مساحة واتساع رقعة .. ولم يتحدثوا أو يشير إلى الأدب في نجد على أية صورة كانت . ولم يكن هذا سبباً يدفعني لإصدار كتابي عن نجد بل إنني وجدتها جديرة بذلك وخصوصاً في دنيا الشعر في العصور القديمة . وبدأت تسترجع شيئاً من أدوارها في العصر الحديث . ولكي تصل حلقات الأدب العربي بعضها ببعض وعن جميع أرجاء الجزيرة العربية التي آلت عنها ماعدا نجد . فمت بتأليف كتابي المذكور مساهمة في الدعوة إلى الوحدة العربية من خلال التعارف المتبادل على فكر وأدب جميع الأقطار والبيئات العربية . لا اقليمية في ذلك على الإطلاق خاصة بعد أن وجدت المؤلفات الأدبية عن اقليمي الحجاز والمنطقة الشرقية فقيت نجد في الوسط الضائع في قلب الجزيرة العربية . ففقت بجهد المتواضع لسد هذا النقص ... والحمد لله .

أما رفع الصوت والمناداة بدراسة الحركة الأدبية في المملكة بوجه عام شيء وارد في الأذهان .. وما التأليف عن الأقاليم والمناطق إلا جزء من كل .. بالنسبة لي ولغيري .. فأنا ، إن شاء الله . سأقوم بتأليف كتاب عن « الشعر والشعراء في قلب الجزيرة العربية » خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري . وقد كتبت فصولاً منه حتى الآن ... وأسأل الله أن يعينني على إتمامه .

■ أنت أحد أعضاء النادي الأدبي بالرياض ، وتلمس باستمرار ما يواجه النادي في أداء مهمته . وتسمع عن نشاطه الذي يكاد ينحصر في مجال النشر ، فما هو تقويمك لهذا النادي من حيث نشاطه وما ترى أنه يجب الأخذ به وتجنب ما ليس من مهام هذا النادي ؟ لا شك عندي أن الأندية الأدبية قد أسهمت مساهمة ملموسة في الحركة الأدبية في المملكة .. ولو لم يكن لها من فضل إلا أنها نشرت عشرات الكتب الأدبية ما بين شعر وقصة وبحث ومقالة . وعقدت عشرات الندوات . وألقي فيها الكثير من المحاضرات . لكان ذلك كافياً للتدليل على جدواها . ولكنني أقول بصراحة أن هذا أقل بكثير مما نؤمله منها .. والأسباب التي تجعل جدواها ونفعها محدودة كثيرة أهمها :

• ضعف إمكاناتها المادية بينما الجانب الرياضي ينال رعاية وإمكانات مادية ضخمة من قبل الدولة .

• أعضاء مجالس إدارات الأندية الأدبية ليسوا كلهم على المستوى الذي يفرض احترامه على جمهور الأدباء ورجال الفكر .. لذلك لم تكن الاستجابة لهم على المستوى المطلوب .

• عدم وجود مقرات ثابتة لهذه الأندية ما عدا نادي مكة . جعلها عاجزة عن استقطاب الأدباء وجعلها مرتادا لهم . وهناك أسباب أخرى عديدة .

• وأرى العلاج لهذا في أن أعود إلى اقتراح سبق أن طرحته منذ حوالي عشرين سنة ثم تبناه عدد من الأدباء وهو يتلخص في تكوين « رابطة للأدباء » . فهي أجدى وأنفع من الأندية الأدبية . وربما تكون هذه الأندية هي النواة لتكوين هذه الرابطة □

التصنيف الصوتي للحروف في كتاب سيبويه

٣

بقلم: الأستاذ الدكتور أحمد محمد حسن

الجهر والهمس :

« فأما المهموسة فالهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والظاء والفاء فذلك عشرة أحرف » .

« فالمجهورة : حروف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى يتقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت » .

« فهذه حال المجهورة في الحلق والقم إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في القم والحياشيم فتصير فيهما غنة والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أدخل بهما » .

« وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه » .

« وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقلد عليه فإذا أردت لإجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد أو بما فيها منها وإن شئت أخفيت » (٦) .

ونورد هنا مناقشة إبراهيم أنيس لتعريف سيبويه ، يقول أنيس :

« وقد تبين لنا في تعريف سيبويه أمران متميزان عبر عن أولهما بعبارة « اشباع الاعتماد » التي أراد بها أن يصف المجهور بأنه

صوت متمكن مشبع ، فيه وضوح ، وفيه قوة ، وتلك هي الصفة التي يشير إليها الأوروبيون بقولهم Sonority فالمجهور أوضح

في السمع مع نظيره المهموس ، لا نزاع في هذا ، وليس للاعتماد معنى في كلام سيبويه سوى عملية إصدار الصوت ، تلك العملية

التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى إنطلاقه إلى الهواء الخارجي ألا ترى أن سيبويه ذكر في حالة النون والميم أن الاعتماد

لهما يكون في القم والحياشيم . بمعنى أنه تم في القم عملية عضوية في حالة هذين الصوتين ، وفي نفس الوقت تم في الحيشوم عملية

عضوية أخرى ، فالنون تتكون بأن يلتقي طرف اللسان بأصول التنايا التقاءً محكما ، ويلتزم الناطق بها هذا الوضع ، غير أنه في

نفس الوقت يهبط أقصى الحنك فيفتح طريق الأنف لتسرب الهواء منه . كذلك مما يدل على أن الاعتماد معناه العملية العضوية

المطلوبة في إصدار الصوت أن سيبويه اعتبر أن في المهموس اعتمادا أيضاً ولكنه اعتماد ضعيف ، لأنه يقول : (فأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه) .

في الجهر تنطبق الأوتار الصوتية بعد عملية معقدة وتغلق فتحة الحنجرة تماماً ، وقد يكون هذا الانطياق قويا يحبس الهواء في الحنجرة ويحدث عند النطق بالهمزة . وقد لا يكون من القوة بحيث يحبس الهواء بل يتدفع من الرئة خلال الأوتار الصوتية فيحدث فيها إهتزازا فينتج صوت يسمى مسموع الجهر (١) .

أما في الهمس فإن الأوتار تنطبق إنطباقاً تاماً (٢) يسمح للهواء بالمرور دون أن يظهر أثره عليها يجعلها ذات صوت مسموع .

والأصوات الصامتة المجهورة في العربية كما تنطق اليوم هي :

(ب . ج . د . ذ . ر . ز . ض . ظ . ع . غ . ل . م . ن . و . هـ) (ولد ، وحوض) ، ي (بيت ، يترك) (٣) .

أما المهموسة فهي : (ت ، ث ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ط ، ف ، ق ، ك ، هـ) (٤) .

وهذا ما هو عليه سيبويه ومن بعده من العلماء غير أنهم جعلوا الطاء والظاء من الأصوات المجهورة (٥) .

ولعل هذا الاتفاق الجيد أغرى الباحثين بمحاولة فهم المحتوى العلمي لهذين الاصطلاحين كما جاء عند سيبويه ، ذلك أن أول

حديث عن الجهر والهمس نجده في (الكتاب) ولا نجد في (العين) ذكراً لهما .

ومن الباحثين المحدثين من يرى أن سيبويه عرف الجهر والهمس كما عرفه المحدثون ، ومنهم من يرى أنه عرف الجهر

والهمس على نحو يختلف عن فهم المحدثين ، وأخشى أنهم قد أسرفوا حيث أباحوا لأنفسهم تحميل ألفاظ سيبويه أكثر مما تحتل ،

ونفذوا في فهم عباراته من نظرتهم الحديثة وما هو قائم بأذهانهم يحدوهم حسن الظن بسيبويه . وسنعرض كل ما ورد عند سيبويه ونورد تفسيرات المحدثين ونناقشها لعلنا نستطيع أن نصل إلى نحو

من ألفهم أكثر قصداً وإنصافاً للمسألة .

يقول سيبويه : « فأما المجهورة فالهمزة والألف والعين والغين والظاء والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والذال والزاي والفاء والذال والباء والميم والواو فذلك تسعة عشر حرفاً » .

ولأمر ما عبر سيبويه بقوله : (أشبع الاعتماد في موضعه) ولم يقل في مخرجه . لأنه كان يشعر بهذا الإشباع في كل مجرى الصوت منذ صدوره من الرئتين إلى انطلاقه إلى الخارج . فكلمة الوضع هنا فهي ما عبرنا عنه في هذا الكتاب « بالمجرى » (٧) . وفرقنا بينه وبين (المخرج) (٨) . ونحب تدوين ما نختلف معه فيه قبل إيراد الأمر الثاني ، وأهم ذلك هذه النقاط :

• لا نفهم من عبارة سيبويه « إشباع الاعتماد » ما يفهمه أنيس من أنه أراد بها أن يصف المجهور بأنه صوت متمكن مشبع ، فيه وضوح ، وفيه قوة . ذلك أنه لو أراد وصف الحرف بهذه الصفة لاذن لقال : إنه واضح وقوى أو لقال : أن المجهور هو الصوت الواضح القوي ثم أن الوضوح والقوة ليسا مقياسين دقيقين يجعلانه يقسم الحروف على ضوئهما ، ثم أن من الحروف المهموسة ما هو أوضح وأقوى من بعض الحروف المجهورة ، فالكاف أوضح من الياء أو الواو ، وأقوى منهما .

• أن قوله : « فالمجهور أوضح في الهمع من نظيره المهموس » صحيح لكنه لا يعني أن كل مجهور أوضح من كل مهموس . ولا أن الجهر لا يمتاز عن الهمس إلا بالوضوح .

• لا نذهب معه إلى أن ليس للاعتماد معنى في كلام سيبويه سوى عملية إصدار الصوت . التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى إنطلاقه إلى الهواء ولنا في الاعتماد فهم آخر نفضله في موضعه . أما الحجة التي أيد بها رأيه وهي أن سيبويه ذكر في حالة النون والميم أن الاعتماد لهما يكون في الفم والحناسيم فهي حجة عليه لأنه لو كان الاعتماد هو عملية إصدار الصوت لما حددها في مناطق معينة حسب مخارج الحروف . ويدل على ما نذهب إليه قول أنيس نفسه وهو يفسر الاعتماد في الفم والحناسيم بقوله : « بمعنى أن تم في الفم عملية عضوية في حالة هذين الصوتين وفي نفس الوقت تم في الحيشوم عملية عضوية أخرى » (٩) .

وهذا يعني أن الاعتماد يكون في موضع محدد هو موضع الحرف وليس عملية تصاحب النفس من الرئة إلى الخارج ويزيد في وضوح ما نقول شرحه للعليتين في قوله : « فالنون تتكون بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا التقاءً محكما ، ويلتزم الناطق بها هذا الوضع ، غير أنه في نفس الوقت يهبط أقصى الحنك فيفتح طريق الأنف لتسرب الهواء منه » (١٠) .

• أما قوله : « مما يدل على أن الاعتماد معناه العملية العضوية المطلوبة في إصدار الصوت أن سيبويه اعتبر أن في المهموس اعتماداً أيضاً ولكنه اعتماد ضعيف » (١١) . فنحن معه فيه ، ونفهم من تعبيره هذا أن الاعتماد غير إصدار الصوت ، وهذا يناقض ما ذهب إليه من أن الاعتماد لا يعني غير إصدار الصوت » (١٢) .

• ولا نذهب معه في قوله : « ولأمر ما عبر سيبويه بقوله (أشبع الاعتماد في موضعه) ولم يقل في مخرجه ، لأنه كان يشعر بهذا

الإشباع في كل مجرى الصوت منذ صدوره من الرئتين إلى إنطلاقه إلى الخارج ، فكلمة الموضع هنا هي ما عبرنا عنه في هذا الكتاب بالمجرى » . لا نذهب معه في هذا كما لا نفهم من كلامه أنه يشعر بالإشباع المذكور وهذا الإشباع الذي يفترضه أنيس لا يفهم من مكان معين من الجهاز الصوتي ، والاعتماد يكون في الموضع لا في المجرى الصوتي كله لأنه أي المجرى من الرئتين حتى الخارج مشترك بين الحروف مجهورها ومهموسها .

ويقول أنيس عن الأمر الثاني الذي تبين له من تعريف سيبويه : « الأمر الثاني الذي تبين لنا من تعريف سيبويه هو ما عبر عنه بقوله : (منع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه) ومعنى هذا في رأبي أن الحس المرهف لسبويه جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكاد أن يسدان طريق التنفس . وتلك هي الصفة التي وضحتها لنا المحدثون ، حين وصفوا ما يجري في الحنجرة مع المجهورات ، إذ قالوا : إنه من المجهور يقرب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر ، مما يضطر هواء النفس إلى الإندفاع من بينهما في قوة تحرك الوترين الصوتيين وتجعلهما يتذبذبان ويظلان يتذبذبان حتى ينقضي الاعتماد . أي حتى تنتهي العملية العضوية المطلوبة في إصدار الصوت . أما في حالة المهموس فقد عبر عنها سيبويه بضعف الاعتماد . أي عدم تمكن الصوت في أثناء جريانه في مجراه مما يترتب عليه قلة وضوحه كذلك نجد طريق التنفس معه مفتوحا بحيث يسمح بانسيابه حرا طليقا وتلك هي الحال التي عبر عنها المحدثون بقولهم : إن الوترين الصوتيين مع المهموس يتعد أحدهما عن الآخر فينطلق النفس من بينهما دون حاجة إلى تحريكهما وإحداث ذبذبة بهما . هذا هو معنى جريان النفس مع المهموس ، ومنع جريانه مع المجهور » (١٣) .

وملاحظتنا على ما أورده ما يلي :

• أن ما فهمه أنيس من قول سيبويه : « منع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه » من أن حس سيبويه المرهف جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتيين ، هذا الفهم فيه مبالغة والاستنتاج يحمل عبارة سيبويه ما لا تحتمل ، ذلك أن حركة الوترين ليست واضحة كل الوضوح ويصعب الزعم بأن سيبويه يحس بامتناع النفس في الوترين ذلك أنه لا يعرف الحنجرة ولا الوترين ، وهو لم ينسب امتناع النفس إلى أقصى الحلق — وهو ما قد يعتبر حنجرة تجاوزا — ولكنه نسب إلى موضع الحرف .

• قوله : « هذا هو معنى جريان النفس مع المهموس ، ومنع جريانه مع المجهور » وهو نتيجة لمقدمات فاسدة .

ونعرض الآن رأي تمام حسان الذي ينتهي إلى عدم معرفة سيبويه للأوتار الصوتية ، ولكن للحجاب الحاجز ، وقد سجل ملاحظاته في نقاط هي :

• يظهر أن الإشباع والإضعاف كما يبدو من المقابلة بينهما

ووضوح معنى الثاني منهما (إذ أن معنى الإضعاف سلب القوة)
يمكن فهمها على النحو التالي :

الإشباع = التقوية Strengthening

الإضعاف = إزالة القوة Weakening (١٤)

• « يظهر من إسناد الإشباع والإضعاف إلى الاعتماد » .
وإتفاق منع جرى الصوت مع إشباع الاعتماد ، وجرى النفس
مع إضعاف الاعتماد أن الاعتماد - الضغط Pressure « (١٥) » .
وملاحظني على هذه النقطة هو أن منع النفس وليس منع جري
الصوت يكون مع إشباع الاعتماد ، وجرى النفس مع الإضعاف .
• « يظهر من استعمال سيبويه للكلمة (موضعه) دون كلمة
(مخرجه) في النص السابق أن المقصود بهذه الكلمة غير المقصود
بالأخرى ويتبع ذلك :

• إن الاعتماد له موضع ولا يوصف بأنه له مخرج لأن المخرج
عند سيبويه للحروف فقط (١٦) .

وقبل إيراد نقطة (ب) نود الإشارة هنا إلى أنه لا يفهم من
العبارة التي يشير إليها وهي : المجهور حرف أشبع الاعتماد في
موضعه أن المقصود بهذه الكلمة غير المقصود بالمخرج ، أما أن
الاعتماد له موضع فهذا ما يفهمه تمام حسان وليس ملزماً ، وجاء
هذا الفهم من إرجاع الضمير في موضعه إلى الاعتماد لأنه أول اسم
قبل الضمير ولكن هذا لا يعني بأن الضمير راجع إليه حقاً ، فالموضع
يكون للحرف لأن المؤلف يقصد بالمخرج والموضع إلى نسبتها إلى
الحرف ، وما ذهب إليه من استنتاج مبني على فرض لا يبرهان له .
وقوله أن المخرج عند سيبويه للحرف فقط صحيح لكنه لا يفسر
عدم استعمال كلمة مخرج في مكان موضع من العبارة السابقة ،
وكل هذه الاستنتاجات والافتراضات إنما جاء بها تمام حسان لتسند
فهمه لعبارة سيبويه وأكد أقول رغبته في فهم معين ينتهي إلى
نتيجة سيذكرها .

• « إن الاعتماد يكون من موضعه (والضمير للاعتماد)
واقعا على مخرج الحرف ضاغطا عليه فتمشأ الاعتماد وموضعه
هو الحجاب الحاجز الضاغط على الرئتين لإفراغ ما فيهما من هواء
وهو (أى الاعتماد أو الضغط) واقع على مخرج الحرف أى المكان
الذي يتم نطقه فيه ، ولا يطعن في هذا الفهم قوله عن الميم والنون
« قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة » لأن حروف
الجر يحل بعضها محل بعض والحرف « في » هنا محل محل « على » .
أو يكون الاعتماد واقعا « من » الحجاب الحاجز « على » المخرج
الذي يوجد « في » الفم والخياشيم ، فإعادة الضمير في كلمة « موضعه »
على الاعتماد أولى بأن تجعل المعنى مستقيماً « (١٧) » . والمأخذ هنا
هو أن الضمير في (موضعه) يعود إلى الحرف كما ذكرنا ذلك سابقا
وليس للاعتماد ، ذلك أن الضمائر كلها تعود على الحرف في
الكلمات « في موضعه ، يجرى معه ، ينقضي الاعتماد عليه » .
ثم أن قوله إن الاعتماد واقع من الحجاب الحاجز على المخرج
للحرف ليس يفهم من كلام سيبويه ، ذلك أنه لو أراد هذا المعنى

لأضاف ما يشعر بأن الاعتماد ضغط واقع من الجوف على مخارج
الأصوات ، ولكن هذه الصفة لا تعطي الحروف المجهورة ميزة عن
غيرها المهموسة ، ولو كان الاعتماد ضغطاً من الحجاب الحاجز
لكان ملائماً للنفس دافعا له ولكن النفس يمنع ولا ينطلق حتى
ينتهي الاعتماد ، وهذا يوحي بأن الاعتماد شيء مانع للنفس ،
وليس قوة ضاغطة مادتها النفس .

أما تقريره بأن واقع على مخرج الحرف فمناقض لما هو مره من
اختلاف الموضع عن المخرج . وقوله : أن بعض حروف الجر
يحل في مكان البعض الآخر فهو من قبيل التخريج وهو أسلوب
يتبعه النحاة منذ القديم كما يفعل ابن جني ، ولكن التخريجات
وإن استوت لا تعني أن الفكرة واضحة وصحيحة .

• « يظهر من عبارة سيبويه القائلة : « ومنع النفس أن يجرى
معه ... ويجري الصوت » أن هناك نوعا من التقابل بين النفس
وبين الصوت يمكن إيضاحه كما يأتي :

النفس يرتبط بالهمس - Breath

الصوت يرتبط بالجهر - Voiced (١٨)

وعندي أن النفس مرتبط كما يفهم من ظاهر عبارة سيبويه
بالجهر والهمس ولكنه يمنع عند الجهر ، ويجري عند الهمس ،
وسيفصل ذلك في موضعه .

- « يظهر مما تقدم من عبارات سيبويه ومحاولة فهمها :
- أن سيبويه لم يكن يعرف وظيفة الأوتار الصوتية في الجهر
والهمس بل لم يكن يعرف حتى تركيب الخنجرة بدليل تسميته إياها
أقصى الحلق وإعتباره إياها جزءا قصبا من الحلق » (١٩) .
- أنه رأى الجهر نتيجة لتقوية الضغط كما رأى الهمس نتيجة
لإضعافه (٢٠) .

- إن سيبويه مع إحساسه بهذا الضغط (الاعتماد) لم يكن
يعرف مصدره ولا طريقته ومن ثم يكون الربط بين هذا وبين
الحجاب الحاجز تفسيرنا نحن للظاهرة وليس تفسير سيبويه (٢١) .
وتعليقي على هذه النقطة أنها شهادة منه بأنه يفهم من عبارات
سيبويه ما يريد ، لا ما يريد سيبويه ، وقد يكون عند سيبويه
علم بالحجاب وقد لا يكون ، والمهم فقط هو فهم كلامه الذي
أورده في الكتاب دون إصلاح .

- إن الجهر مظهره (الصوت) وأن الهمس مظهره
(النفس) (٢٢) ، وقد سبق أن ناقشنا ما أورده في هذا الموضوع ،
ولم يكتف تمام حسان بما وصل إليه بل حاول أن يعيد صياغة عبارات
سيبويه على طريقة شراح المتون كما يقول ، ولعله قد تأثر بطريقتهم
في الدراسة نفسها وتكون العبارة المشروحة هكذا :

« فالمجهور صوت شدد الضغط في الحجاب الحاجز (معه)
ولم يسمح للهواء المهموس أن يجرى معه حتى ينتهي الضغط عليه
ولكن يجري الصوت أثناء نطقه فهذه حال الأصوات المجهورة
في الحلق والقم والخياشيم فتصير فيهما غنة أي أثر صوتي أنفي
مجهور . وأما المهموس فهو صوت أضعف الضغط في موضع

الضغط أثناء النطق حتى جرى الهواء المهموس معه وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الصوت بنطقه مع جري النفس فإنك لا تسمع له جهاً (٢٣) .

ويعقب على صياغته هذه بقوله :

« وهكذا يختلف فهم سيويه للجهر والهمس عن فهم المحدثين » وكأن ما فعله في الصفحات التي عالج فيها رأي سيويه إنما كان لإثبات هذا الاختلاف ، والقضية إذا كان هذا ما يرمي إليه أسهل من أن يعتمد على التخريجات وإلى شرح قول سيويه شرحاً هو ليس من سيويه في شيء . ويكفي أن يثبت أن سيويه لم يعرف الأوتار الصوتية ، وهذا ليس عسيراً لأنه قال بأن سيويه لم يعرف الحنجرة فمن تحصيل الحاصل أنه لا يعرف الوترين ، وبهذا لا بد أن يكون فهم سيويه للجهر والهمس مختلفاً عن فهم المحدثين . ورغم شرح تمام حسان لا يزال الأمر غامضاً لأنه لم يشرح عبارة سيويه وإنما أدخل فيها كلمات وأضاف أخرى حتى يستقيم له ما افترض . ورغم هذا لا يخلو الشرح من غموض ولعله بحاجة إلى شرح آخر . ولكننا إذا عدنا إلى كلام سيويه لمحاولة فهمه نجد أن الحرف المجهور عنده له صفتان :

• يشيع الاعتماد في موضعه .

• النفس لا يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه .

ومن ذلك نلاحظ أن الاعتماد يكون في موضع الحرف . وأن انقضاء الاعتماد مرتبط بجريان الصوت . فإذا كان الموضع هو ما فهمناه سابقاً من أنه جزء من الجهاز الصوتي تكيف تكيف خاصاً لتتحكم في الهواء الخارج فيحدث الصوت المطلوب . فإننا نرجع أن الاعتماد هو ضغط هذه الأجزاء . فالاعتماد مثلاً في حرفي الطاء والذال يتم بالتقاء طرف اللسان وأصول الثنايا عند سيويه هذا الالتقاء العضوي هو الاعتماد . فقد يكون الاعتماد في هذا الموضع شديداً قوياً أو مشعباً . أي أن طرف اللسان لا يترك فراغاً يذكر بينه وبين أصول الثنايا . وقد يكون غير قوي .

أما النفس فهو شيء غير الصوت ، وغير الحرف ، فالحرف شيء مصاحب للنفس . ونفهم ذلك من وصفه للحرف المجهور والمهموس . فالنفس يمتنع عن الجريان مع المجهور ، ويجري مع الحرف المهموس ، ونفهم ذلك مع قوله : « وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس (يعني في حالة المهموس) » ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه (٢٤) . إذن فالمجهور صوت يكون ضغط الأجزاء فيه شديداً ويمتنع النفس عن الجريان معه حتى ينتهي الضغط . وهذا يجعل ترديد الحرف المجهور مع جريان النفس مستعصياً لأنك محتاج إلى حبس النفس لإصدار الصوت ثم إرسال النفس مرة ثانية . أما في المهموس فالنفس مرسل والصوت متتابع يحمله النفس معه ، واختبرت ما وصف سيويه من تجربة لاختبار المجهور والمهموس . فكنت أملاً رقيقاً بالهواء ثم أخرج الصوت المجهور فإذا خرج وجدت أنني أخرج هواء الزفير وأحس براحة . أما الصوت المهموس فلإن الهواء لا يبقى

في الرئة وإنما يخرج وأنا أردد الصوت . ولو حاولت إخراج وترديد الصوت فسد الصوت وضاع .

والذي انتهى إليه أن مصطلح الجهر والهمس عنده يختلف في محتواه العلمي عن المصطلحات الحديثة وأعلل هذا بأن سيويه لا يعرف الأوتار . وأنه توصل إلى هذه الصفات بطريقته الخاصة وليس بعيداً أن تتناول ظاهرة معينة من زاويتين . فلعله لاحظ صفات لم يلاحظها المحدثون . وأحب أن أنهى إلى أن إتفاق المحدثين مع سيويه على تسمية حروف معينة باسم معين لا يدل على أن المحتوى العلمي واحد وليس يلزم ذلك : والاصطلاح لا يلزم بمحتوى معين . فقد يتفق على مصطلح واحد ويختلف على المحتوى . وقد يتفق على المحتوى ويختلف المصطلح .

هذا ما استطعت فهمه من عبارات سيويه . وقد يكون في هذا الفهم جور أيضاً . ذلك أن الموضوع دقيق وعبارات سيويه ليست واضحة .

أما الخلاف الذي نجده بين المحدثين وسيويه من حيث اعتبار القاف والطاء مجهورين عنده ومهموسين عندهم فقد يكون راجعاً إلى اختلاف المقصود بالمجهور والمهموس . وقد يكون سيويه يتحدث عن قاف وطاء مختلفين عن القاف والطاء كما يطبقهما المحدثون في فصيحتهم . وقد يرجع الأمر إلى خطأ وقع فيه هو عند اختيار الحروف وهذا مستبعد □

ابراهيم الشمسان / القاهرة

(١) عبد الرحمن أيوب ، « أصوات اللغة » ، ص/ ٥٩ .

(٢) عبد الرحمن أيوب ، م . ن ، ص/ ٥٨ .

(٣) كمال محمد بشر ، علم اللغة العام (الأصوات) ص/ ٨٨ .

(٤) كمال محمد بشر ، م . ن ، ص/ ٨٧ .

(٥) كمال محمد بشر ، م . ن ، ص/ ٨٨ .

(٦) سيويه ٤٠٥/٢ ، ٤٠٦ .

(٧) أنظر : إبراهيم أنيس ، « الأصوات اللغوية » ، ص/ ١١٣ .

(٨) إبراهيم أنيس ، م . ن ، ص/ ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٩) إبراهيم أنيس ، « الأصوات اللغوية » ، ص/ ١٢٥ .

(١٠) إبراهيم أنيس ، م . ن ، ص . ن .

(١١) إبراهيم أنيس ، م . ن ، ص . ن .

(١٢) أنظر النقطة (٣) في مناقشة معنى الاعتماد .

(١٣) إبراهيم أنيس ، « الأصوات اللغوية » ، ص/ ١٢٥ ، ١٢٦ .

(١٤) تمام حسان ، « اللغة العربية » ، ص/ ٦١ .

(١٥) تمام حسان ، « اللغة العربية » ، ص/ ٦١ .

(١٦) تمام حسان ، م . ن ، ص . ن .

(١٧) تمام حسان ، « اللغة العربية » ، ص/ ٦١ .

(١٨) تمام حسان ، « اللغة العربية » ، ص/ ٦١ .

(١٩) تمام حسان ، م . ن ، ص/ ٦١ ، ٦٢ .

(٢٠) تمام حسان ، م . ن ، ٦٢ .

(٢١) تمام حسان ، « اللغة العربية » ، ص/ ٦٢ .

(٢٢) تمام حسان ، م . ن ، ص/ ٦١ .

(٢٣) سيويه « الكتاب » ٤٠٥/٢ .

تعريب الدراسات في الطب - العلمية العربية

أجرها وأجرها: لبراهيم السني



السادة شركون في الندوة ، من اليمين إلى اليسار : اسماعيل نواب ، عبد الله الغامدي ، سعيد أبو عالي ، فهد الدخيل ، عدنان نيازي ، توفيق التميمي ، محمد سعيد القحطاني ، إبراهيم السني .

القافلة :

ما مدى استعداد اللغة العربية وقدرتها لتكون لغة تدريس ، في الجامعات ، للمواد والمناهج الدراسية العلمية من هندسة وطب وصيدلة ورياضيات وطبيبات وأحياء وما شابه ذلك ؟

نواب :

اللغة العربية غنية بطرق تعريبها واشتقاقها ونحتها ، والواقع يبدو مؤسفاً حيث أن الأمة العربية التي يبلغ تعدادها نحو ١٤٠ مليون نسمة لم تنهض بلغتها حتى الآن علماً بأنها بلغت درجة ممتازة ، في العلوم على اختلافها ، أيام ازدهارها بعد ظهور الإسلام بنحو قرن فقط . كما أن

بجامعة الملك فيصل ، الدكتور سعيد عطية أبو عالي - مدير عام التعليم في المنطقة الشرقية ، الدكتور عدنان محمد نيازي - رئيس قسم علوم الأرض بجامعة البترول والمعادن ، والأستاذ عبد الله حسين الغامدي - رئيس تحرير قافلة الزيت .

ولقد اتسمت الندوة بالشمول والتعميم ، وورد خلالها عدد من الملاحظات والاستفسارات والآراء القيمة التي نأمل أن نوردنا في الحلقات القادمة فيجب عنها أولو الاختصاص والاهتمام لنخرج من هذا الاستطلاع بنواة قيمة تزرع فتثمر وتسمو ، وتثمر وتزدهر . وكانت الأسئلة التي طرحناها في الندوة ، وكذلك الإجابات عنها كما يلي :

هذه هي الحلقة الثانية في استطلاعنا العام حول تعريب الدراسة في الكليات العلمية العربية . وكانت أسئلة الحلقة الأولى ، التي نشرت في عدد قافلة الزيت لشهر رجب ، قد أرسلت إلى عدد من المهتمين بالتعريب . أما هذه الحلقة فهي عبارة عن ندوة عقدت في الظهران ، حيث تصدر القافلة ، واشترك فيها عدد من ذوي الفكر والمستولية وهم : معالي الدكتور محمد سعيد القحطاني - مدير جامعة الملك فيصل ، الدكتور فهد حامد الدخيل - وكيل جامعة البترول والمعادن للدراسات العليا والأبحاث ، الأستاذ اسماعيل إبراهيم نواب - مدير عام الشؤون العامة في أرامكو ، الدكتور توفيق التميمي - عميد كلية الطب والعلوم الطبية



نيازي : لقد اختار الله ، سبحانه وتعالى ، اللغة العربية لتكون لغة آخر الرسالات السماوية ، وهي لن تعجز عن احتواء العلوم على اختلاف أشكالها .

المثل ، أو المصطلح ، مكان الأخرى ذات المعنى الذى يحتمل التأويل . وهذا ما حدث أبان العصر العباسي فكان أول مصطلح وضع للحساب هو «ارتماطيقى» والعنصر «اسطقس» وبالتدريج حلت المصطلحات العربية السائغة محل الكلمات اليونانية الثقيلة على اللسان ، وبقي ما راق للذوق العربي من مصطلحات كفسلفة وكيمياء .

نيازي :

ان العقبات التي تواجه مسألة التعريب مثل عدم الإتفاق على المصطلحات أو عدم قدرة مكاتب التعريب على التنسيق بصورة فعالة ، هي عقبات لو ضخمناها أكثر مما يجب فلن نقوم للتعريب قائمة . ولذا أرى أن يسير التعريب حسب الإمكانيات المتوفرة ودون إصرار ، في الوقت الحاضر ، على توحيد المصطلح أولاً ، فذلك سيتم في المستقبل ويأخذ طريقه تلقائياً .

الغمامدي :

أن كثرة الترادف في اللغة العربية لدليل على صحتها ثقافياً وعلمياً ، ولكن يجب أن تكون هناك الكلمة المستقلة ذات المعنى الواحد الذى

الصور ، عن إحتواء العلوم على إختلاف أشكالها . بل إن هناك لغات أصعب من العربية بكثير كاللغة الصينية واللغة اليابانية ، حيث لا يستطيع الطالب أن يتمكن منهما في سنوات قليلة . ومع ذلك فهناك علوم قيمة وأبحاث متقدمة تدرس بهما وتنشر . وعليه فإن قدرة اللغة العربية . في رأبي . ليست موضع خلاف في هذا الشأن .

القافلة :

نخلص من هذا إلى أن العربية قادرة على أن تكون وسيلة للتدريس ولغة للعلوم في الجامعات . فما هي الصعوبات . إذن . التي تواجه تعريب الدراسة في الكليات العلمية العربية ؟

الدخيل :

بودنا أن تكون اللغة العربية هي الوسيلة لتعليم كل المواد العلمية من طب وهندسة وكيمياء ... الخ . لكن هناك مشاكل واضحة وأخرى أقل وضوحاً . تطرح سؤالاً وهو : هل هناك كتب ومراجع تتضمن أحدث ما وصل إليه العلم في المواضيع التي تدرس في مختلف الأقسام العلمية في الكليات ؟ ! الحقيقة لا بد من حل هذه المشكلة قبل أن ندفع في التدريس باللغة العربية . وأنا لا أقول أن ذلك مستحيل . فهناك تجارب كثيرة واجتهادات لترجمة العلوم من اللغات الأجنبية إلى العربية . ولكنها اجتهادات فردية . وقد أضافت مشاكل جديدة لعملية التعريب . حيث نجد تعبيرات تستعمل في بلد كسوريا مثلاً تختلف عن أخرى تستعمل في مصر أو في المغرب ، ولذا أصبح لدينا لغات علمية اقليمية . وحتى نصل إلى الهدف لا بد من تخطيط دقيق وعمل جاد في هذا الموضوع .

نواب :

الحقيقة أن توحيد المصطلحات أمر لا بد منه ، ولكن يجب أن لا نتظر حتى يتم توحيدها ثم نبدأ بالتعريب فهذه عملية طويلة . إن المصطلح العلمي الأفضل سيظهر إن عاجلاً أو آجلاً لدى مراجعة الكتاب وتفتيحه وإعادة طبعه . وستحل الكلمة



نواب : كل الدول النامية لديها خطط وجدول زمنية لنهضتها ، فلماذا لا يكون للتعريب جدول زمني تدريجي عملي وممقول ؟

الأمة العربية اليوم في مستوى لا بأس به ، ثقافياً وعلمياً وحضارياً . إذا ما قارناها بعدد من الأمم الأخرى . وهناك دول كثيرة ، منها اليابان وأندونيسيا . اللتان ليس للغتئهما إسهام يذكر في الحضارة العالمية تدرسان جميع المواد العلمية باليابانية والأندونيسية .

وإسرائيل . وهي بلد صغير قليل عدد سكانه . تدرس جميع المواد باللغة العبرية . وهي لغة كانت في عداد اللغات الميتة قبل أحيائها منذ سنوات قلائل !

ولم تكن العبرية قط لغة علم . بل إنها كانت مدينة للغة العربية حين تقدمها في العصور الوسطى حيث أن كبار علماء اليهود نهلوا من ينباع الإسلامية في العلوم والفلسفة وحتى في علم النحو . إلا أنها منذ سنوات قلائل أخذت تعود لها الحياة .

نباري :

لا يخالفني شك في قدرة اللغة العربية على نقل أية معلومات ، وإذا كان الله . سبحانه وتعالى ، قد اختار اللغة العربية .. لغة القرآن الكريم .. لتكون لغة آخر الرسالات السماوية . فهي لن تعجز ، بأى صورة من

التبسمي :

بعد المئة سنة الأولى من ظهور الإسلام بدأت فترة ازدهار في البلاد العربية والإسلامية ، فأخذت العقول تهجر إليها من مختلف البلدان : من فارس والهند وبلاد الروم ومن روسيا وبخارى ، ولم تكن العلوم قد ازدهرت عند العرب في ذلك الوقت فافسحوا المجال لهؤلاء العلماء وأكرمهم وشجعهم على نقل علومهم وترجمتها إلى العربية . فكانت تلك هي الخطوة الأولى في طريق الإزدهار العلمي في البلاد العربية ، وقد بدأها الخلفاء والحكام .

وكانت الترجمة أولاً ببلون تحوير أو إضافة وربما كان فيها أخطاء . وبعد ذلك بفترة بدأ نقد تلك الترجمات ومراجعتها وتنقيحها حتى بلغت درجة الإتقان وقد أخذ ذلك بعض الوقت قبل أن تبدأ الأجيال التالية في الإضافة والتأليف .

نواب :

هناك في الحقيقة محاولات جادة وقديمة أيضاً ، فالجامعة السورية تدرس جميع المواد باللغة العربية منذ زمن طويل ، لكن المشكلة هي ضعف المتخرجين في اللغة الأجنبية ، فمن الضروري للطلاب الجامعيين أن يعرفوا لغة أجنبية واحدة على الأقل ، وأن يتقنها جيداً أولئك الذين سيتخصصون .

فالمشكلة إذا قائمة على وجه الخصوص بالنسبة للباحثين والمتخصصين ويمكن حلها بعدة طرق ، منها الإصرار على إتقان لغة أجنبية دولية كالإنجليزية والفرنسية ، والإنجليزية والفرنسيون أنفسهم يفرضون لغة أجنبية ، واحدة على الأقل ، على طلاب الجامعات عندهم . وكذلك انتداب بعض الأساتذة الأجانب كي يحاضروا باللغة الأجنبية ، وذكر المصطلحات العلمية الأعجمية أثناء التدريس باللغة العربية .

القافلة :

متى ترون أن تبدأ عملية التعريب الفعلية التي نرجو أن توصلنا إلى ما نهدف إليه ، وكيف؟!

القحطاني :

نحن الآن نطارد الوقت ، ولا حاجة للمرء



الدخيل : التعريب عمل لا يمكن أن تقوم به جامعة أو جامعات فيجب أن تهتم به الأمة العربية ككل ، وأن تستعمل الجامعات العربية كنهل لذلك .

الضرورة أن نعرب كل شيء في العلوم السابقة أو أن نجعل هناك قنطرة بين العلوم التي سبق إليها غيرنا وبين ما نحن عليه الآن؟! المسألة ليست مرهونة بجامعة أو مدرسة ، إذ لا بد أن يكون الشعور متأصلاً حتى لدى الأطفال ، بحيث يفضل الطفل العربي رؤية برنامج ثقافي تربوي باللغة العربية على آخر شبيه له باللغة الأجنبية . فيسمع ويقرأ ويستعمل كلمات مثل من فضلك وشكراً ومغلق ومفتوح ، مثلاً ، بدلاً من الكلمة المقابلة لها بالأجنبية . إن المسألة وطنية وجماعية أيضاً .

الغامدي :

المعروف لدينا أن جميع المناهج العلمية في المراحل الدراسية قبل الجامعة تدرس باللغة العربية وليس في ذلك صعوبة . ولكن عندما ينتقل الطالب إلى المرحلة الجامعية ، وبالذات في المجال العلمي ، يفاجأ بأن اللغة الأجنبية هي المستعملة في تدريس جميع المواضيع ، اللهم إلا الدراسات الإسلامية والكتابة العربية الفنية . ولاشك أن هذه ستكون مفاجأة تحدث صدمة لدى الطالب وربما تثبط عزيمته . ولذلك فالأمر في يد الجامعات وعليها أن تبدأ بالمهمة بشكل جاد ومستمر .

لا يحتمل التفسير إلى معنى آخر لدى الأستاذ والطالب . ووجود مكاتب للتنسيق أمر ضروري حتى لا يكون هناك التباس في المعنى . لذلك فإن المترادفات في اللغة العلمية لا بأس بها ، غير أنه يجب أن تكون هناك كلمة محددة متعارف عليها لكل معنى . وما نحن بصدد في الواقع هو : هل من الضروري بمكان أن تكون لغة العلم في البلاد العربية والإسلامية لغة أجنبية؟! عندما جاء الإسلام كانت الحضارة بيد الفرس والروم ، فزّل القرآن بلغة عربية استوعبت كل المفاهيم الإنسانية للحياة الاجتماعية ، فما الذي يمنعنا اليوم من النهوض بها إلى المكان اللائق؟

أبو عالي :

بالنسبة للمصطلحات والمترادفات فهي في الواقع سمة من سمات ثراء اللغة العربية وغناها . فلو استعملنا مصطلحاً في سوريا يختلف لفظاً عما هو عليه في اليمن مثلاً فلا بد أن يكون المعنى مفهوماً وخاصة بالنسبة لأهل العلم والمهتمين في هذا الشأن ، ولا أرى أن ذلك سيكون عائقاً . كما أن قيام هيئات للتعريب أمر ضروري . والبداية هي مسؤولية جيلنا الحاضر لنحتفظ بشخصيتنا ولنساهم في التقدم العلمي الحالي ، وهذه مسؤولية كل فرد في مجال اختصاصه .

القافلة :

ما هو الأسلوب الذي تقترحونه ليكون بداية للتعريب ومن هي الجهة التي ترون أن يناط هذا العمل بها؟

القحطاني :

إن موضوع التعريب قضية وطنية لا تقتصر على جهة معينة كجامعة أو مؤسسة . وحتى يأخذ الموضوع طريقه إلى النور يجب أولاً أن نعي أهمية اللغة العربية وضرورة النهوض بها . وللأسف صارت العربية لا تأخذ الحماس الكافي في مناهج التعليم العام . ولذا لا بد لنا من التعرف بدقة على الطريق السليم المودى إلى الهدف الذي نسعى إلى تحقيقه .

وثانياً هو أن مسألة التعريب مسألة حضارية أو مسألة تحد وشعور وطني قوى . ثم هل من

والتعريب ، ولابد أن يكون هناك دور نشر على مستوى عال لإخراج الكتب على أحسن وجه ، طباعة وتصويرا وتجليدا وما إلى ذلك .

أبو عالي :

أن قضية تعريب الدراسة تختلف عن قضية ترجمة كتب أو موضوعات علمية إلى العربية . ان التعريب قضية اجتماعية تتفاعل فيها عوامل ومتغيرات كثيرة ، وتعني المشاركة التامة والتفاعل الكامل من قبل المثقف والمتعلم العربي مع المجتمع والقيم التي يعيش في ظلها من ناحية ، ومع المجتمعات والهياكل العلمية الأخرى المتقدمة من ناحية ثانية .

والتعريب أخذ وعطاء ، فمثلا نأخذ يجب كذلك أن نعطي ونسهم . يجب أن نكون عنصرا فاعلا وليس متلقيا فقط . نفيد الآخرين ونستفيد منهم لكي يكون لنا مكان مرموق في المجتمع العلمي الدولي وذلك يكون بالتجديد والإبداع . وعلينا أن لا نبطئ في العمل . ولا نقول هل نترجم أولا أو ننشئ مراكز ترجمة أو تعريب ، فهذا قد يؤخرنا . علينا أن نتحرك ضمن برنامج أو خطة معينة ، ولكن بروية . كما أنني لا أرى ضرورة تعريب كل شيء ، فالغرب لم ينقل عنا غير أمهات الكتب والمراجع ثم أخذ يتفاعل وينتج . ونحن أيضاً علينا أن نعرب أمهات الكتب ونفسح المجال للأستاذ والطالب والدارس كي يتفاعلوا معها ، كل في حقل اختصاصه .

نيسازي :

أن تعريب الدراسة في الكليات العلمية العربية لا يمكن أن يكتب له النجاح ما لم يصاحبه تعريب الأعمال التي سيشغلها خريجو تلك الكليات . ولذا فإن مسؤولية التعريب لا يمكن القيام بها إلا إذا قام بها جهاز الدولة بكامله . ولابد أن تكون هناك خطة زمنية مدروسة وموقوتة لانجاز العمل في عدد معين من السنين . وأرى أن مثل تلك الخطة يجب أن تشمل تكوين جهاز يشرف على التعريب يتبع له دار أو مركز لترجمة الكتب والمراجع العلمية . ومعهد أو معاهد لتخريج مترجمين متخصصين في الحقول المختلفة . كما أرى أن تكون لغة العقود



الغامدي : هل من الضرورة بمكان أن تكون لغة العلم في البلاد العربية والإسلامية لغة أجنبية ؟

النعيمي :

من المعروف حالياً أن الانجليزية هي أكثر اللغات استعمالاً في المجالات العلمية لضخامة الإنتاج بها وخاصة في مجال الطب . فحسب معرفتي هناك نحو ٢٠٠٠ نشرة دورية في العلوم الطبية ولدينا منها في كلية الطب بجامعة الملك فيصل حوالي ٥٥٠ دورية ، ونحن في هذا العصر لا بد لنا من الاهتمام بالانجليزية بشكل خاص على أن لا نهمل اللغات الأخرى العالمية كالفرنسية والألمانية واليابانية .

أما الاقتصار على نقل أمهات الكتب فذلك أمر كان مقبولا قبل معرفة الطباعة ، حيث كانت الكتب مخطوطات كلها . فمثلا كان عدد الكتب في كلية الطب بجامعة « مونت بيليه » بفرنسا لا يتجاوز سبعة أو ثمانية كتب . وكذلك في كلية الطب بجامعة « سيلارنو » بإيطاليا . ومعظمها لابن سينا والرازي . وكان ذلك في القرن الثاني عشر أما اليوم فالوضع تغير كثيرا . نظرا لضخامة الإنتاج العلمي . وهنا يجب التفكير في الإستعانة بالآلات الحاسبة (الكمبيوتر) في الترجمة ، وتطوير هذه الآلات بحيث يمكن ترجمة أعداد كبيرة من الكتب والدوريات العلمية بطريقة آلية . والواقع أنه لابد لنا من اغدق الأموال على الترجمة

أن يكرر نفسه ، ولا حاجة للمؤلف أن يعرب كتابا في العلوم الطبيعية ثم يجد أن غيره قد سبقه إلى ذلك أو ربما قد ألف مثله بالعربية . والأولى أن يجتمع الاثنان ويتعاونوا في إنجاز الأمر . إذن يجب أن يكون هناك شيء من التنسيق ، وأعتقد أن هناك مكتبا يقوم بذلك بين الجامعات العربية . كما يجب أن يكون التنسيق دقيقاً وشاملاً . فالتعريب ليس هو النقل أو الترجمة فقط بل هو أيضاً مراجعة المواضيع وتمحيصها بحيث تتفق مع تعاليم ديننا الحنيف . يجب أن نزيل الغث من السمين . فالمسألة أمانة في أعناقنا تجاه ديننا ووطننا وأجيالنا القادمة . وكذلك من أجل المحافظة على اللغة العربية والارتقاء بها .

الدخيل :

التعريب عمل لا يمكن أن تقوم به جامعة أو جامعات فيجب أن تهتم به الأمة العربية ككل ، وتقوم به ضمن الجامعة العربية أو جهاز المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ولقد قام مكتب التعريب في المغرب بأعمال كبيرة منها إصدار معاجم علمية في الرياضيات وتعريب مصطلحاتها . ولكن يجب أن نستعمل الجامعات العربية كنهل ، فنختار الكتاب الأفضل في الموضوع . طب ، هندسة ، رياضيات ... الخ ، ونعهد به إلى أساتذة قديرين لتعريبه ثم يراجعه أخصائيوهم متمكنون من اللغة العربية واللغة الأجنبية التي صدر الكتاب أساساً بها . ثم يطبع الكتاب طباعة أنيقة معتبرة تضاهي الكتب العلمية الأجنبية . وبعد ذلك نبدأ بتدريس المادة بالعربية في الكلية ذات الاختصاص . كما أنني لا أرى تعريب كل ما يصدر ، فالدوريات العلمية الأجنبية بالآلاف وإذا ضخمنا الأمر صعب تحقيقه . فعلياً أن تقتصر على كتب المناهج الدراسية . كبداية على الطريق ثم بعد ذلك نواجه تعريب الدوريات .

وإذا ما أخذنا بالتدريس بالعربية وبدأت أفواج الخريجين الذين درسوا بالعربية تأخذ مواقعها فان الكتابة والتأليف وكذلك الأبحاث وبالتالي المراجع ستكون بالعربية . ويصبح من غير الواجب على الدارس العربي إتقان اللغة الأجنبية إتقاناً تاماً إلا في مجال التخصص بل يكفي أن يقرأها ويفهمها .



القحطاني : ان موضوع التعريب قضية وطنية لا تقتصر على جهة معينة ، والمسألة أمانة في أعناقنا تجاه ديننا ووطننا وأجيالنا القادمة .

وفي رأيي أن تعليم الطب بالعربية تقهقر على الرغم من جهود سوريا في هذا المجال . لقد كان الطب يدرس بالعربية في مصر أيام محمد علي ثم تغير الحال . وكذلك كان يدرس في كلية الطب بالجامعة الأمريكية لدى إنشائها واستمر لمدة حوالي ١٥ سنة ، ثم تغير الحال . وإذا كانت سوريا قد استطاعت ذلك فما الذي يمنع الآخرين من المحاولة ؟

إن كل الدول النامية لديها خطط وجدول زمنية لنهضتها ، فلماذا لا يوضع للتعريب .. كما يوضع لقطاع الصناعة مثلاً .. جدول زمني تدريجي عملي ومعقول يأخذ بعين الاعتبار الحفاظ على المستويات العلمية الرفيعة ؟

القافلة :

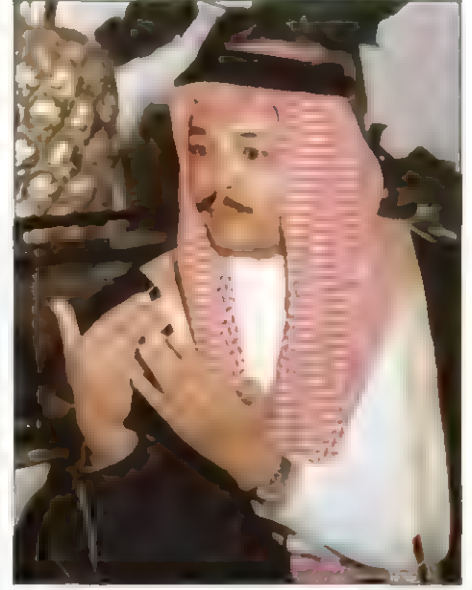
هل هناك محاولات أو مجهودات تقوم بها الجامعات في السعودية لتعريب بعض المواد في كلياتها العلمية ؟

القحطاني :

في الحقيقة هناك خطة بل ولائحة تنفيذية في جامعة الملك فيصل ، ولدينا لجنة لذلك لها من الإمكانيات ما يلزم . لكن عملية التوحيد بين الجامعات الأخرى لابد من تنسيقها . فمن الممكن أن يكون في الجامعات الأخرى من هو أقدر على هذا العمل أو أنهم قد سبقونا إليه ، ونحن الآن نمر في طور الإنشاء والتأسيس والبناء ، والشعور متوفر حالياً والحمد لله وكذلك الإمكانيات . ففي كلية العلوم الزراعية والأغذية بجامعة الملك فيصل (في الاحساء) يجري تدريس المواد الأساسية فقط بالانجليزية . وهناك خطط تدرس حالياً لتوسيع استعمال اللغة العربية . وحيداً لو تقوم كليات الطب مثلاً ، في مختلف الجامعات العربية ، بإطلاع طلابها على ما تم في كلية الطب بسوريا من حيث تعريب المصطلحات وكذلك الدراسة . فبعض الطلاب لا يعرفون أن الطب يدرس في سوريا باللغة العربية . وبذلك نشجعهم ونشحنهمهم نحو التعريب وإيجاد خلفيات بالعربية لديهم في مجال تخصصهم .

الدخيل :

بدأ فريق من جامعة البترول والمعادن



أبو عالي : البداية هي مسؤولية جيلنا الحاضر لنحتفظ بشخصيتنا ولنساهم في التقدم العلمي الحالي .

والعمل في البلاد العربية هي اللغة العربية ، وأن تكتب جميع التقارير والمراسلات والمعاملات بها في جميع المؤسسات الأجنبية العاملة هنا . وأن تكون تعليمات ومواصفات ورسومات جميع الأجهزة والمواد المختلفة المستوردة وطريقة استعمالها باللغة العربية أيضاً .

وكذلك الطلب من كل جامعة بأن تقدم خطة زمنية للتعريب مع ضرورة التقيد بالجدول الزمني المتفق عليه ، وإقامة تنسيق وتعاون تامين مع مؤسسات التعريب الأخرى في العالم العربي . وإعطاء الأولوية لخطة التعريب حتى ولو اقتضى ذلك تأخير بعض أوجه خطة التنمية الاقتصادية المتبعة .

نواب :

لن نقوم للتعريب قائمة إلا إذا كان هناك تشريع أو جدول زمني للجامعات تلزم به ، وتعمل على تحقيقه ، فيقوم المختصون فيها بالتنسيق مع الجامعات الأخرى وتعريب مواد السنة الأولى في كلية الهندسة المدنية أو الكهربائية ، مثلاً ، ويبدأ التدريس بها ، على أن تكون مواد السنة الثانية قد أنجزت قبل أن تنتهي الأولى ، وهكذا دواليك سنة بعد أخرى ؟

بالطهران . بإشراف الدكتور رضا سراج النقة - عميد كلية الدراسات العليا ، والدكتور زيني ساعتاني - مدير مركز المعلومات بمعهد الأبحاث ، بمشروع لتعريب الحاسب الآلي ، وكانت الخطوة الأولى هي تطوير الوسيلة اللازمة لاستعمال اللغة العربية واللغة الإنجليزية في آن واحد . وقد جرى تطوير لوحة تحتوي على مفاتيح الحروف والرموز المستخدمة ، وشاشة تشبه شاشة التلفزيون . وهذا الجهاز يستخدم لإدخال المعلومات الى الحاسبات الآلية ، ومن خلال ذلك تم التوصل إلى نظام موحد لترتيب الحروف والأرقام والرموز العربية . وقد أثبتت التجارب صلاحية هذا النظام بالمقارنة بما كان مقترحاً من قبل الهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس ، وسوف يرفع تقرير الهيئة للأخذ به . ومن الجدير بالذكر أن تكلفة تصميم نسخ أخرى منه لا تتجاوز ٣٤٠٠ ريال سعودي للنسخة الواحدة . وهذا يقل بكثير عن السعر التجاري لما يماثله . أما الخطوة التالية ، وهي قيد التنفيذ حالياً ، فهي تطوير الطابع العربي اللاتيني وسوف تم هذه خلال شهور قليلة إن شاء الله . ويمكن بالخطوتين السابقتين استخدام جميع



الشغني : الأمة العربية اليوم في وضع حرجي ومادي تستعج مع الفهم بمهمة التعريب ، وأنه قد آن الزمان للعمل .. وأعمل بجد .

نضيف إلى ذلك الإعتزاز الحضاري والشعور الوطني لأبناء الأمة تجاه لغتهم .

الغامدي :

حتى يكون للدراسة الجامعية باللغة العربية انعكاسات ايجابية على المجتمع هناك نقطة مهمة يجب أن لا نغفلها . وهي أن كثيرين من خريجي الجامعات في البلاد العربية لا يجدون العمل المناسب لتخصصهم بحجة ضعفهم في اللغة الأجنبية . فلو كانت اللغة العربية في الجامعات العربية كلها هي لغة العلم والتدريس لما أغلقت أمامهم أبواب الرزق . ولذلك نجد كثيرين من الطلاب العرب يتجهون إلى الجامعات الأجنبية . إن جهد جامعة لوحدها هو جهد ضخم عليها ، وهو بالتالي سيحبط . الجهد ليس جهد جامعة أو بلد وإنما جهد أمة متكاملة وهو ، في نظري ، ينبع من الجامعات .

أبو عالي :

إن عملية التعريب تعطي الطالب العربي قدرة أكبر على الاستيعاب والفهم وبالتالي على الإسهام في رفع مستوى اللغة العربية ذاتها . وإذا كان يؤخذ على خريجي الكليات العلمية

إلا إذا اتخذت إجراءات كاملة في عملية التعريب مثل تدريب هيئة التدريس وإيجاد عدد وفير من المدرسين الأكفاء وتوفير الكتب والمراجع والدوريات اللازمة . وإلا سيخرج الطبيب العربي بمعلومات قديمة حيث أن العلم متطور باستمرار .

وفي الآونة الأخيرة بدأت بعض الدوريات الصحية العربية تظهر في الأسواق مثل « المجلة الطبية السعودية » التي تصدرها وزارة الصحة . وطلاب كلية الطب لدينا يطالعونها بانتظام . وهناك « مجلة الطبيب الممارس » وهي تطبع بالعربية في باريس بإشراف أطباء لهم خلفيات فرنسية أو متمكنين من اللغة الفرنسية وقد دعمها وزراء الصحة العرب . وأخذ طلابنا في الإطلاع عليها بصورة منتظمة . كما أن لدينا في الكلية مجلة طبية تصدر بالعربية يشرف عليها الأساتذة والطلاب وهي على مستوى جيد . وعلى أية حال يمكن أن تبدأ كليات الطب بتدريس بعض المواد بالعربية كالطب الشرعي وتاريخ الطب وبعض مواد العلوم . أما أن نبدأ بتدريس الطب حالا باللغة العربية فهذا أمر صعب حيث أن ٨٠ في المئة من أعضاء الهيئة التدريسية لا يعرفون العربية . كما أن تدريس اللغة الأجنبية للطلاب كلفة فقط لا يفيد كثيرا ولا بد لهم من استعمالها .

القافلة :

ما الذي يرفع من مستوى لغة أمة من الأمم : هل هي قوتها السياسية أم تقدمها العلمي . أم قدرتها الاقتصادية والتجارية أم كثرتها العددية ؟

نواب :

هناك عدة عوامل إلا أن للقوة السياسية أثرا كبيرا في ذلك . فالأمة الغالبة — كما قال ابن خلدون قبل مئات السنين — تفرض لغتها وحضارتها على الأمة المغلوبة .

القحطاني :

إن مستوى اللغة يتوقف . في الواقع ، على قوة أهلها السياسية والعلمية والاقتصادية وكثرتهم العددية . فالناطقون بالانجليزية مثلا لديهم الامكانيات السابقة جميعها . كما يجب أن



التميمي : إن تدريس لغة جديدة باللغة العربية هو قضاء على مستقبلها . لا بد أن تحت إصرار كمد في عملية التعريب .

البرامج المعروفة للحاسب الآلي ، وتسخيرها لجميع التطبيقات الممكنة للحاسب باللغتين . وهذا ، في حد ذاته ، كاف للإستخدامات المكتبية والإدارية لأنه سيكون بالإمكان إدخال المعلومات وتنسيقها وحفظها واسترجاعها وطبعها باللغتين . أما الخطوات التالية فهي تعريب لغات الحاسب الآلي وإنشاء لغات جديدة لفرد العربي تناسب اللغة العربية وتطبيقاتها . وكذلك عمل تصميم جديد للحاسب ودوائره المتعددة وتعميم استعماله من طرف المؤسسات والإدارات الحكومية والخاصة وحق ثقافة للحاسب الآلي بين الجمهور وفي المدارس على مختلف مراحلها .

التميمي :

بالسنة لكلية الطب . في جامعة الملك فيصل هناك حصص أتحدث في نشرة الأخيرة . كما أن مجلس وزراء الصحة العرب متحمس لفكرة التعريب . وقد اجتمع ممثلون عن مختلف كليات طب في العلم العربي ووضعوا توصيات كثيرة في هذا الشأن . ومع ذلك فأنا أحتذر من عملية الإرتجال . وأرى أن تدريس الطب حاليا باللغة العربية هو قضاء على مستقبل النص

في قطر عربي بأنهم غير أقوياء في اللغة الأجنبية لأن دراستهم بالعربية فانه يمكن أن يؤخذ كذلك على خريجي الكليات العلمية . في قطر عربي آخر ، بأنهم ضعاف في اللغة العربية لأن دراستهم كانت باللغة الأجنبية . وهذا الذي يجب أن يزعمنا أكثر لأنه قد يؤثر في خفض مستوى اللغة العربية . وهذا أمر يمس أصالتنا الشخصية ويتعلق بوطنيتنا .

القافلة :

هل يمكن أن يؤثر استخدام اللغة الأجنبية في التدريس الجامعي على لغة البلد المستخدم وثقافته وحضارته ؟

الغامدي :

استخدام اللغة الأجنبية في الدراسات العلمية العليا قد أثر إلى حد كبير على لغتنا العلمية ، وأقصد هنا لغة الطلاب والمدرسين في الدراسات العلمية العليا . فهم ، في تصوري ، أي المدرسين ، لا يستطيعون أن يصوغوا مادتهم باللغة العربية لتكون سلسلة وفي تناول مستوى الطلاب الذين يأتون من المدارس الثانوية . حيث أن كل ما تلقوه كان باللغة العربية تقريبا . هذا جانب ، أما الجانب الآخر فهو أن المدرس الذي يلقي دروسه في المعاهد أو الكليات العلمية ، إن صح التعبير ، لا يستطيع أن يتعامل في بحثه ومع طلبته إلا باللغة الأجنبية حيث أنها كانت لغة تخصصه العلمي ، ولم يحاول أن يكتب أو يصوغ أفكاره بلغته الأم وهي اللغة العربية .

أما مدى تأثير ثقافة البلد المتعلم وحضارته من هذا الجانب ، فاني أرى أن الأثر الثقافي - العلمي هو الذي يجب أن يكون مدار الاهتمام ، حتى تكون لغة العلم في تناول كل المثقفين ، سواء منهم من تعلم اللغة الأجنبية أم لم يتعلمها . ونحن نرى أن البلاد الغربية تصدر المئات من النشرات العلمية ، وفي مختلف التخصصات ، بلغة مبسطة تصل إلى مستوى جميع المثقفين الذين ليس لديهم تخصص علمي . ولذا فإن التأثير على حضارة الأمة وثقافتها قائم ، ولكنه ليس بالأثر الخطير الذي يهدد الأمة في لغتها ، إذا

ما علمنا أن هناك مراكز ومعاهد عليا تقوم بدورها في حفظ اللغة العربية .

نواب :

الكلمات الأعجمية غزت مجتمعاتنا في حياتها اليومية غزوا ساحقا ، وهذا أمر يجب أن يقلق بال كل شخص مثقف ، فاستخدام كلمات أجنبية في نطاق علمي وتخصصي في حالة عدم وجود كلمات عربية .. كما كانت الحال في مستهل عهد الترجمة في العصر العباسي .. هو أفضل من الاستمرار في تدريس جميع المواد بمفردات أجنبية . فالخطر على ثقافتنا ونقاء لغتنا لا يأتي من هذا الباب بل الخطر ، كل الخطر ، يتجسم في تغلغل المفردات الأجنبية ، دون شعور منا ، في اللغة المحكية ، حتى أنها تصبح جزءا لا يتجزأ منها . ولا ضرب لكم مثلا على ذلك : « جلس الدكتور فلان على الكنبه ، بجانب الأباجرة ، وبعد أن تكلم قليلا في التلفون ، سجل فلما سينمائها عن الفلكلور التونسي على الفيديو ، بينما كانت ابنته تشاهد بعض أفلام الكرتون في التلفزيون . أما ابنه فقد طلب من السكرتير أن يشتري له جهاز راديو كاسيت وميكروفون . ثم خرج حاملا الكاميرا وركب التكمي متوجها إلى الاستوديو . وأثناء عودته ركب الباص فبنشر كفه قرب محل لبيع الآيس كريم فزل واشترى قطعة من الشكولاته ثم ركب أتوبيسا آخر وعاد إلى منزله . »

هذا مثال بسيط وهو ، على الأقل ، أسماء لأدوات ومعدات وردت من الخارج . ولكن ما بالنا في بعض الأقطار نستعمل كلمات أخرى عادية مثل : مرسية وانكل ووطنط وكادر وكورنيش وكنكري وروتين وكاونتر وديكور وهوز وكتين ، وكثيرا غير ذلك !

ان تعريب الدراسة في الكليات العلمية أمانة في أعناق رجال الأمة العربية المخلصين . كما أن كثيرا من الدول الإسلامية ، غير العربية ، توافقة إلى استعمال اللغة العربية ، ومنها من أخذ بتدريسها كلغة ثانية . وهي تنظر بأمل ورجاء أن يعرب العرب التدريس على كل مستوياته كي تعود اللغة العربية لغة دين وعلم وأدب وفلسفة كما كانت في أزهى عصورها عندما كانت

لغة المسلمين العلمية الوحيدة في مشارق الأرض ومغاربها .

وبعد ..

فهذه خلاصة الحلقة الثانية في هذا الاستطلاع المسلسل ، وسيتلوه إن شاء الله حلقات نلتقي فيها مع ذوى الفكر والعلم والقلم . فالتعريب مهمة شاقة . لاشك في ذلك . ولكنها أيضا ليست مستحيلة . وقد تأخذ وقتا طويلا لكن الوقت سيقصر إذا ما بدأنا بالسير نحو إتمامها ، والرحلة الطويلة تبدأ عادة بخطوة قصيرة كما يقول المثل .

أن تعريب العلوم ، على اختلافها ، قضية قومية ووطنية ، بل هي قضية دينية . وقد كرم ديننا الحنيف العلماء والعاملين وحث القرآن الكريم على العلم ودعا إلى العمل فقال تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ٩ سورة الزمر » .. وقد تكررت كلمات العلم والعمل في القرآن الكريم عشرات المرات . ولا يخفى علينا أن الأمة العربية اليوم في وضع حضارى ومادى تستطيع معه القيام بمهمة التعريب ، ولديها من الأساتذة الأكفاء والمترجمين الثقة العدد الكافي . وأنه قد آن الأوان للعمل بجد . فطلاب اليوم هم أساتذة الغد ، وهم كتاب المناهج ومؤلفو الكتب في المستقبل ، فبأى لغة نريدهم أن يكتبوا ويؤلفوا ؟

وانه لمن الخير لنا ، اليوم ، أن نشق على بضع مئات من المؤلفين والمترجمين ، ولبضع سنوات ، من أن يشقى عشرات الآلاف ، بل الملايين ، من طلابنا وهم يكفون ، كل بمفرده ، في محاولة لفهم اصطلاح أو نظرية ، فينبقون في القواميس بحثا عن معنى كلمة أجنبية عميت عليهم . وقد ينعتهم الآخرون ببطء الفهم وخمول الذهن وهم أحفاد العلماء الذين رفعوا مشعل العلم والحضارة حينما كان الآخرون يهيمون في الظلام .

هناك حلقات مفقودة في سلسلة التعريب ، أهمها التنسيق والدعم المادى . والأخير ، حمدا لله ، متوفر ولا ييخل به أولو الأمر . يبقى الأول وهو التنسيق . لماذا لا يكون أوثق وأمتن !! ما الذى يمنع الحلقات من الترابط ؟ متى ستظهر الأغراس ؟ ! ذلك ما نأمل أن نعرفه في ندوات قادمة في المستقبل القريب إن شاء الله □



قصة قصيرة

كانت أيام

الأولاد بعد موسم الزيتون .. وسداد الديون بعد موسم الزيتون .. واقامة أفراح الزواج بعد موسم الزيتون .. كل الخير والأمل تحمله شجرة الزيتون المباركة الى كل القلوب والبيوت ..
وقريتنا - شأن كل القرى - في موسم الزيتون لا تنام ، فهي ليل نهار في حركة دائبة كخلية النحل تعج بالنشاط ، ففي النهار تتعالى أصوات القاطفين يغنون ويهزجون في الكروم من كل حذب وصوب على أصوات نقر عصيهم الطويلة وهم يسقطون بها حب الزيتون على الأرض حيث تنتشر الصبايا يلتقطنه في زهو وسعادة وكأنهن يلتقطن حبات من اللؤلؤ وقد ارتفعت ضحكاتهن في فرح ومرح وانطلاق .

على قمة جبل يطل على البحر نجثم قريتنا بين أشجار الكروم والفاكهة والزيتون التي تحيط بها من كل جانب فتبدو وكأنها عش جميل هادئ بين أحضان الطبيعة الحانية .
وفي قريتنا - شأن كل القرى - مواسم زراعية كثيرة تبدأ بموسم الحصاد مروراً بموسم المشمش والتفاح والتين والعنب وانتهاء بموسم قطاف الزيتون .
ولموسم الزيتون - بشكل خاص - طقوس وتقاليد تكسبه أهمية خاصة تضفي عليه جواً من الرضا والطمأنينة والسعادة يغرق فيه كل أبناء القرية على اختلاف أعمارهم وفئاتهم .. ففي موسم الزيتون كل عام تتجمع الآمال والوعود لتحقيق بعد جني المحصول وعصره .. فكساوي





بقية: للأستاذ حسن حسن

والى أسمع القاطفين تصل أصوات الباعة المتجولين على حميرهم بين الكروم وهم ينادون على ما معهم من العنب والخبز المجفف والجواقة وعلب التونة والسردين فيتهافت عليهم القاطفون يشترون منهم ما يشاءون بالمقايضة فيعطونهم الزيتون ويأخذون منهم ما يشتون . وعند انتصاف النهار تتحول الطرقات الى ما يشبه دروب النمل تجوبها الحمير ذاهبة آية محلة بأكياس حب الزيتون من الكروم الى البيوت ، ثم تعود مرة أخرى لترجع مع الغروب بأحمال جديدة .

وبعد الغروب تجتمع النسوة والبنات والصبية حول أكوام الحب يلتقطون على أضواء القناديل ما عسى أن يكون قد اختلط بالحب من أوراق الشجر ، بينما



يجتمع الرجال في « البدود » حيث يساعدون بعضهم بعضاً في كل المراحل التي تمر بها عملية عصر الزيتون .
« البد » هو معصرة الزيتون البدائية القديمة قبل اختراع المعاصر الحديثة الأوتوماتيكية . وكان يدير حجر الرحي الكبير في البد زوج من الحمير أو البقر أو رأس من الخيل . وكان فريق من الرجال يقومون بهذه المهمة أحياناً إذا ما أصاب الحيوان اعياء أو فتور بسبب العمل المضني المتواصل فيتولوا عنه هذه المهمة ريثما ينال قسطاً من الراحة . ويقدم له خلال ذلك وجبة من التبن والشعير ثم يعود الى سابق عمله بعد أن يكون قد استراح وشبع وارتوى .
وكان الرجال يقطعون الليل بأحاديث السمر والأهازيج والأغاني الشعبية ويتخلل ذلك وجبة غذائية مع الشاي والقهوة وما تيسر من العنب أو التين المجفف أو الجوافه .

وكان صرير خشبة حجر الرحي وهي تدور حول اللولب الخشبي يبعث في جوف الليل لحناً جميلاً شجياً محبباً ترتاح له الأذن ويأنس اليه القلب . انها عجلة الخير والبركة تدور في هذا الموسم بلا توقف ولا كلل . ويقطع سكان الليل بين حين وحين ضحكات الصبايا وهرجهن وهن يحملن فوق رؤوسهن جرار الزيت ينطلقن بها عبر الحارات والأزقة من البد الى البيوت في خفة ورشاقة وكأنهن يتحركن على خشبة مسرح في حركات استعراضية بديعة .

و« بد » الزاوية « واحد من البدود الكثيرة المتناثرة في أرجاء قريتنا وهو يقع على بعد خطوات قليلة أمام بيتنا مباشرة في منخفض من الأرض مما جعل سطحه لا يرتفع عن مستوى الشارع الا قليلاً .
وكما كان « بد الزاوية » يلعب دوراً هاماً في حياة المزارعين في موسم الزيتون فقد كان يلعب دوراً أهم من ذلك بكثير في حياة صبيان الحي وبناته على مدى عدة أجيال . فقد كان ملعباً بموج بالحركة والنشاط يحتشد فيه الأطفال من الجنسين يلعبون ويمرحون ويتصايحون ويتراكضون طوال أيام السنة . فيه يلتقي جميع أطفال الحي ومنه ينطلقون في كل وجه من وجوه نشاطهم .

كنا - ونحن صغار - نصحو من نومنا مباشرة لتنتقل الى سطح « البد » فنجد بعض رفاقنا قد سبقونا اليه ولا يلبث الباقيون أن يلحقوا بنا ، ثم نتوزع في مجموعات شتى وألعاب عديدة ننهمك فيها حتى انتصاف النهار فنعود الى بيوتنا لتتناول غداثنا على عجل لنعود ونستأنف ما كنا فيه حتى غروب الشمس ، ثم نعود الى بيوتنا للعشاء ولا نلبث أن نعود ثانية الى سطح البد . وكان أحدنا أو بعضنا يمر على بيوت الرفاق ينادي المتخلفين منهم للانضمام اليه ، ثم ننطلق في الحي فتملاؤه ضجيجاً وعلبة ، وكان الحاج عوض يخرج علينا في كل ليلة متوكئاً على عصاه الغليظة يمطرنا بوابل من الشتائم بعد أن يكون قد بلغ به الضيق من جلبتنا وضوضائنا حدّاً لا يتمكن

معه من السكوت والصبر عليه ، وكنا نتفرق أمامه ذات اليمين وذات الشمال فزعين فرحين ولم يكن يتمكن لضعف صحته وكبر سنه من اللحاق بنا . فلا يلبث أن يعود يائساً دون أن ينال منا نيلاً . وسرعان ما كنا نعود ليعود الحاج عوض الى مطاردتنا من جديد . وكنا نجد في هذه المطاردة لذة ما بعدها لذة اذ كانت جزءاً من ألعابنا لا غنى لنا عنه وفقرة هامة من برنامجنا اليومي لا يحلو لنا البرنامج الا بها . . . وكان الحاج عوض كلما ازداد عنفاً في مطاردتنا ازدادنا فرحاً وغبطة ونشاطاً في معابثته . . . كانت أسعد أوقاتنا هي تلك التي نقضيها في كر وفر مع الحاج عوض ، وكان ذلك سجلاً بيننا وبينه . طوراً لنا وطوراً علينا . ولم يكن يحسم الموقف سوى تدخل العم ابراهيم الذي يمعن في مطاردتنا حتى يسلم كلا منا الى أهله مع التهديد والاستنكار .

وكان يمكن برد الشتاء القارس ليحول بيننا وبين الاجتماع على سطح « البد » على الرغم من شدة الظلام ليلاً بسبب تكاثف السحب . كنا نتغلب على البرد والظلام بأشغال نارتلف حولها وكأنها أم روم تجمع أطفالها وتشيع في نفوسهم دفء الحنان . وكان للحطب المبتل بماء المطر وهو يحترق رائحة عبقرة تملأ الجو وتنفذ الى أعماقنا فنحس لها بنكهة طيبة تسري في أوصالنا . وكانت سهرتنا حول النار تمتد حتى أذان العشاء . وكان جمعنا لا ينفض الا بعد أن يأتي



أخواننا الكبار ويتزعمونا من جانب النار انزعاً .

وكما كان سطح « البد » ملعباً فقد كان أيضاً مدرسة للصغار والكبار من الأطفال : حكايات لا تحصى عن الشاطر حسن وست الحسن ، وكانت هذه الحكايات تنتقل من البيوت لتذاع على رواد سطح البد في أمسيات الشتاء حول النار المشتعلة . وكنا ننصت باهتمام الى هذه الحكايات التي كانت تشدنا في اليقظة .

أيام طفولتنا وأبهجها قضيناها على سطح « البد » في بهجة وصفاء لا يعرف الحموم ولا الأحزان . وكانت معاكسة العم عوض أحب ألعابنا اذ كانت مطاردته لنا تزيدنا حماساً ومرحاً . لم نكن نضم له شراً ولكننا على العكس من ذلك كنا نحبه كثيراً وكنا نعد الى أن نشركه معنا في ألعابنا ، ولم يكن أمامنا من وسيلة الا اثارته كي يطاردا .

وكان سطح « البد » بالنسبة لنا معيناً لا ينضب من الأنس والمسرات ، كان كالأم الرءوم نهرع اليه لنجد في كنفه الحنان والبهجة ، كنا نهرع اليه في ساعات المم نلتمس عنده السلوان اذا تعرض أحدنا لعقاب بسبب ذنب اقترفه في البيت أو مخالفة ارتكبتها ، لم يكن سوى سطح « البد » من ملجأ في أي ساعة من ساعات النهار أو الليل ، كان ينبوعاً من العطاء لا يتوقف ، وكان سميحاً نطلبه فنجده في أي وقت نشاء .

ثم كبرنا .. وافترقنا ، فصرنا لا نلتقي الا مصادفة بين حين وحين . ودارت عجلة الزمن فصمت « البد » وتوقف عن العطاء وهجره الناس الى المعاصر الحديثة الكهربائية فغرق في الظلام ولفقه السكون ، وركبت لمسجدنا مكبرات للصوت فلم يعد المؤذن يصعد الى المئذنة في رمضان ، ودخل الراديو والتلفزيون كل بيت فالتف الأطفال الجدد حولهما ولم يعودوا يخرجون ، يفرحون ويغنون للشمس أو المطر ، بل وأصبحوا يخشون الخروج أيام المطر خوف الانزلاق أو البلب وخوفاً من عقاب أمهاتهم اذا عادوا وملابسهم متسخة أو مبتلة .. أطفال جدد لا يعرفون « البد » .. حتى الحاج عوض والعم ابراهيم تواريا عن المسرح فقد انتقلا الى رحمة الله تعالى منذ زمن .. لم يعد في الحارة من يستفزه الأطفال ويستفزههم ويطاردهم ويستثير نشاطهم ومرحهم .

كل شيء قد تغير في قريتنا حتى موسم الزيتون . فلم يعد له بهجة في النفوس . أصبح الناس يرسلون العمال لقطاف الزيتون بينما يبقون هم في منازلهم أو يكتفون بالاشراف على سير العمل من بعيد .. البيادر التي كانت تزخر بالغلال في موسم الحصاد تحولت الى منطقة سكنية تتناثر عليها البيوت الحديثة .. ووابور الطحين قد صمت هو أيضاً ولم يعد يوقظ الناس بصوت الدخان المنبعث عبر مدخنته فربات البيوت ، الصغيرات بنات المدارس لا يعرفن غربة

القمح وتنقيته بل لم يعد القمح موجوداً في قريتنا بعد اختفاء البيادر .. العمل في المدن والسفر الى الخارج في طلب الرزق قد استهوى الفلاحين الشباب فهجروا الأرض فضنت بدورها على الناس بخيراتها وطيباتها ، بعد أن ضنوا عليها بعرقهم وجهدهم .

هذه الخواطر مرت في ذهني كالشريط وأنا أقف في شرفة بيتنا المظلة على سطح « البد » في احدى اجازاتي الصيفية في شهر رمضان . الشمس قد مالت للمغرب وقد ألفت حبالها استعداداً للرسو على الشاطئ الغربي بعد رحلتها اليومية المضيئة متقهقرة أمام جيش الظلام الزاحف عليها من جهة الشرق . الناس يعودون الى بيوتهم في ثقيل وبطء .. سطح البد خال يمر به الأطفال دون أن يلتفتوا اليه فهم لا يعرفونه ولا يعرفهم .. الدكاكين الصغيرة تغلق أبوابها والحركة في طرقات القرية تهدأ رويداً رويداً كأن النهار يموت شيئاً فشيئاً ويلفظ أنفاسه الأخيرة .. كل شيء هادئ صامت .. لحظات من الترقب والانتظار .. الأسماع مشدودة الى أجهزة الراديو .. والأنظار تسمرت على الموائد الحافلة بما لذ وطاب في انتظار لحظة الافطار .

وانطلق صوت المؤذن عبر جهاز الراديو وسماعة المسجد في آن فغادرت الشرفة الى الداخل وأنا أتنهد وأتمتم : أيام ... كانت أيام ! □

حسن حسن سليمان / عرعر

تقليص حجم ناقلات الزيت

لإمداد: يعقوب سلام

كانت البداية في نقل الزيت أن يوضع في أوعية مصنوعة خصيصا لهذه الغاية حيث استعملت أولا البراميل الخشبية ، ثم يتم نقلها عن طريق السفن شأنها في ذلك شأن البضائع الأخرى ، ولم تلبث هذه الطريقة أن استبدلت بتركيب خزانات حديدية داخل هيكل السفينة . ومع اتضاح الفوائد الاقتصادية المترتبة على النقل بالحملة ، نشأت فكرة استخدام هيكل السفينة ذاته كوعاء للزيت بدلا من وسائل النقل الأخرى السابقة ، وكان ذلك بداية لتطور ناقلات الزيت حتى أصبحت كما نعرفها الآن .

يعتبر الزيت الخام في عصرنا الحالي أحد العناصر المهمة التي تلعب دورا رئيسيا في حياتنا الخاصة والعامة ، وهو شريان الحياة بالنسبة للصناعة التي توسعت في استخدام هذه المادة الحيوية حتى أصبحنا لا نجد شيئا مما نستخدمه في حياتنا اليومية إلا وأحد مشتقات الزيت يلعب الدور الرئيسي في تكوينه .
بدأ تاريخ الزيت منذ حوالي مائة عام وكانت الحاجة إليه في تلك الحقبة غير ذي بال إذ كان الاهتمام به واستخدامه منحصرا في أغراض بدائية كالطبيب ووصف الطرق وملاء المساكن وغير ذلك من الأمور الثانوية . غير أن الزيت ما لبث أن احتل مكان الصدارة بالنسبة للطاقة ، وازداد عليه الطلب العالمي ودخل ميدان التجارة العالمية .



إبراهيم عبد



رسم يوضح الطريقة التي تمت بها تقشير الناقل « بوار » وذلك
بانتزاع جزء من وسطها طوله ١٠١ قدم وإعادة لحام الناقل
مرة أخرى .

تاريخ ناقلات الزيت وتطورها

إن أول باخرة لعبور المحيطات تم تصميمها على هذا الأسلوب هي الباخرة « غلوكوف » التي بنيت عام ١٨٨٥ م حيث بلغت حمولتها الإجمالية ٢٣٠٧ أطنان . وكانت المرحلة المهمة الثانية مرور ناقلات الزيت « ميوريكس » بكامل حمولتها عبر قناة السويس وهي أول ناقلات صنعتها شركة شل وحمولتها الساكنة ٥٠١٠ أطنان وقد بنيت سنة ١٨٩٢ م في وست هارتلبوك .

ونتيجة لاكتشاف حقول الزيت في سومطرة وبورنيو فقد طرأ في السنوات الأولى من القرن الحالي تغير مهم على نسق تجارة الزيت ، وقد أسفر ذلك عن إجراء بعض التعديلات في تصميم الناقلات وخاصة في أحجامها .

وخلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى . تم بناء ناقلات عابرة للمحيطات هي الأولى من نوعها في العالم تعمل بقوة المحركات ، وهذه الناقلات هي « فولكانوس » التي بنيت عام ١٩١٠ م . وعلى الرغم من أن هذه السفينة كانت صغيرة الحجم ، إذ أن حمولتها الساكنة لا تتعدى ١٢١٥ طناً ، فإنها قد أثبتت نجاح فكرة الدفع بالمحرك مما شجع على بناء عدد كبير من الناقلات تعمل بقوة دفع المحركات والتي يشكل القسم الأكبر منها اليوم أسطول ناقلات الزيت في العالم . غير أن ازدياد أهمية الزيت بالنسبة للعالم واستخدامه في حقول مختلفة جعل منه مادة مطلوبة باستمرار ، وكان هذا الأمر حافزاً جديداً لزيادة أحجام ناقلات الزيت . وقد تطورت ناقلات الزيت وازدادت حمولتها وأدخل عليها الكثير من الوسائل الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة . وعلى أثر إزدهار منطقة الشرق الأوسط كمرکز مهم لإنتاج الزيت ، وبناء المزيد من معامل التكرير في مناطق الاستهلاك ، والزيادة الهائلة في طلب الزيت الخام من قبل البلدان الصناعية والنامية على حد سواء . كل هذه الأمور أسهمت إلى حد كبير في تقدم صناعة ناقلات الزيت وتطورها حيث ظهرت إلى حيز الوجود الناقلات العملاقة التي تزيد الحمولة الساكنة للواحدة منها على ٥٠٠ ٠٠٠ طن من الزيت الخام . وقد ظهر مؤخراً اتجاه جديد للعودة إلى ناقلات الزيت الضخمة التي لا تزيد حمولتها الساكنة على ١٥٠ ٠٠٠ طن . ذلك أن التوسع في أحجام ناقلات الزيت يستدعي أيضاً توسعاً مماثلاً في الموانئ حتى تكون قادرة على استقبال الناقلات العملاقة لتفريغ حمولتها من الزيت الخام ، ونظراً لقلة مثل هذه الموانئ فإن الناقلات العملاقة تضطر للتوقف في عرض البحر قرب الموانئ حيث تضخ الزيت الخام إلى بواخر صغيرة تتردد على الناقلات حتى تكمل تفريغ حمولتها من النفط الخام . ولقد أدركت بعض شركات الزيت التي تملك عدداً من الناقلات العملاقة أنها بحاجة إلى ناقلات أصغر حجماً وأسرع حركة تستطيع الرسو في العديد من الموانئ وتفريغ حمولتها من الزيت الخام دونما حاجة إلى التوقف في عرض البحر بضعة أيام لتفريغ حمولتها على دفعات متتابة .

وبعد دراسات مكثفة من الناحية الاقتصادية والعملية والتشغيل أصبح بالإمكان تقليص أحجام الناقلات العملاقة التي تملكها حالياً دون أن تضطر لبناء ناقلات زيت جديدة تكلف مبالغ طائلة .

وتعتبر ناقلات الزيت الكبيرة « اس . اس . بوار » أول ناقلات زيت من أربع ناقلات مماثلة يتم تحويلها إلى ناقلات أقل طولاً وأحف حمولة . وأكثر سرعة . وقد كانت قبل ذلك راسية لفترة ستة أشهر فوق مياه خليج بروني الهادئة ولم تقم منذ عام ١٩٧٨ بنقل أية حمولة من الزيت الخام ، فقد كانت في حالة شبه مقعدة منذ تلك الفترة ، مما يعتبر خسارة كبيرة بالنسبة لناقلات زيت من هذا الحجم كانت من قبل على قدر كبير من الفعالية والنشاط .

تم بناء الناقلات « بوار » عام ١٩٧٠ لحساب شركة ستاندر أف كاليفورنيا . وأنضمت بعد ذلك إلى أسطول الناقلات التي تملكها الشركة ، وبلغت حمولتها الساكنة ٢١٢ ألف طن من الزيت الخام . وكانت الناقلات الكبيرة الأولى التي تملكها الشركة . حيث قامت بنقل الزيت الخام من الخليج العربي إلى هولندا وجزر البهاما وكوريا الجنوبية وكندا وغيرها من البلدان المستوردة للزيت الخام واستمرت في الخدمة الفعالة تجوب البحار ناقلات الزيت مدة ثمانية أعوام .

وفي مطلع شهر يناير عام ١٩٨٠ وصلت الناقلات بوار إلى حوض ميتسوبيشي الجاف لبناء السفن في يوكوهاما باليابان . وخلال ستين يوماً تم توصيب الناقلات بوار وإعادة بنائها وتحولت إلى ناقلات زيت أقل طولاً وأكثر سرعة وأصبحت حمولتها الساكنة ١٥٠ ٠٠٠ طن . وتقوم حالياً بنقل أكثر من مليون برميل من الزيت الخام الذي تملكه الشركة في كل رحلة تقوم بها من سومطرة إلى معامل التكرير في كل من ريتشموند وآل سيفوندو بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة .

ولعل التساؤل الآن هو عن كيفية تحول ناقلات زيت حمولتها الساكنة ٢١٢ ٠٠٠ طن بغاطس ٦٢.٤ قدم إلى ناقلات زيت حمولتها ١٥٠ ٠٠٠ طن بغاطس ٥٢.٨ قدم ، وماذا يكون هذا التغير .

بدأت شركة شيفرون للشحن البحري قبل عامين البحث لشراء ناقلات للزيت تتراوح حمولتها الساكنة من ١٠٠ ٠٠٠ طن إلى ١٥٠ ٠٠٠ طن وذلك بهدف إحداث توازن أفضل لأسطول الشحن لديها وخاصة للتجارة البحرية بين أندونيسيا والساحل الغربي للولايات المتحدة . ولم تكن الشركة في ذلك الوقت تملك أية ناقلات من تلك الفئات عدا ما كانت تستأجره منها والتي لن تكون صالحة للاستعمال بحلول عام ١٩٨٠ م . وقد أجرت بالفعل دراسة لشراء ناقلات جديدة أو شراء ناقلات عاملة حالياً . لكن مدير قسم التصميم والإنشاء في شركة شيفرون خرج باقتراح آخر لحل هذه المشكلة . وكان الاقتراح يدعو بأن تؤخذ ناقلتان من أصغر الناقلات الكبيرة جداً التي تملكها الشركة ويصار إلى تصغير حجمها بحيث تتحول من ناقلات زيت حمولتها الساكنة ٢١٢ ٠٠٠ طن إلى ناقلات حمولتها الساكنة ١٥٠ ٠٠٠ طن . وأن يتم تصغير كل ناقلات بانتزاع قسم من الوسط يبلغ طوله ١٠١ قدم ثم يعاد جمع الناقلات مرة أخرى . وقد وافقت الإدارة على عملية تحويل الناقلات الأربع التي

مقدمة الناقل « بوار » بعد اقتطاع الجزء الأوسط منها وتعويمه خارج الحوض الجاف أثناء إجراء العملية الفنية للناقلة .



تملكها الشركة وهي ناقلات الزيت الكبيرة جدا « بوار » ، و « هيز » ، و « ماكون » ، و « هيجنز » . وقد تولى المسؤولون في الشركة إعداد التصاميم اللازمة لعملية التحويل ، وإعداد المواصفات الهندسية وأسلوب العمل . وفي الوقت نفسه ، قام قسم الصيانة والشحن البحري في الشركة بإعداد المواصفات اللازمة لتوضيب هيكل الناقل والآلات بالإضافة إلى إعداد الضوابط البيئية اللازمة . وقد تولى مدير قسم الصيانة والإصلاح المسؤولية الكاملة للأعمال التي ستجري في حوض السفن بالإضافة إلى عملية تقصير طول الناقل . بعدها طرحت العملية بجميع مراحلها للمناقشة .

وقد تم اختيار سبعة أحواض سفن في سنغافورة واليابان بسبب قربها من موقع وجود الناقلات الأربع المتوقفة عن العمل في بورنيو ، إلا أن الأمر في النهاية تم بتوقيع اتفاقية مع شركة ميتسوبيشي لإنجاز العمل المطلوب في أحواض السفن التي تملكها ميتسوبيشي في كل من يوكوهاما وناجازاكي .

كانت الناقل « بوار » الأولى من بين الناقلات الأربع التي ستفقد من حمولتها الساكنة ٦٢٠٠٠ طن . وبمهاره القائمين على العمل . تم اقتطاع جزء يبلغ طوله ١٠١ قدم من إجمالي طول الناقل البالغ ١٠٣٧ قدما ، مع ترك غاطسها وعرضها دون تغيير .

ويصف أحد المسؤولين في الشركة العملية فيقول ، إنها ببساطة مثل انتزاع الجزء الأوسط من المنضدة التي يوكل عليها الطعام . ففي يوم واحد تم تعويم مقدمة الناقل والجزء الأوسط المقطع منها خارج الحوض الجاف . وقام قارب جر بسحب الجزء الزائد بعيدا بهدف التخلص منه . ثم أعيد تعويم مقدمة الناقل وأعيدت إلى الحوض الجاف ووضعت في خط واحد مع المؤخرة .

كانت عملية لحام جزئي الناقل « بوار » المقدمة والمؤخرة . هي نفس العملية المتبعة في بناء أية ناقل جديدة وبنفس الأسلوب ومستوى جودة اللحام . والواقع أن الناقل « بوار » أصبحت بعد تقصير طولها ولحام الجزئين بعد إزالة قسم من الوسط أقوى من ذي قبل . فالسفينة أو الناقل كالصندوق الطويل ، فكلما ازداد طول الناقل ، ازداد سمك الألواح الفولاذية الخارجية . وعندما يجري تقصيرها فإن الألواح الفولاذية بعد عملية التقصير تكون أكثر سماكة عند السطح والجوانب والجزء السفلي مما لو تم بناء الناقل حسب مواصفات ناقل أقل طولاً . كانت المرحلة الثانية التي تلت تقليص طول الناقل هي التحديث . وفي هذه المرحلة ، تم فصل خزانات معينة لتخزين ماء « الصابورة » فقط ، وهو نوع من المياه الثقيلة تستخدم في حفظ توازن الناقل ، كما أضيفت معدات أخرى واقية لضمان السلامة البيئية . وفي الوقت نفسه أجريت للناقل معظم أعمال الصيانة العادية التي تجرى للناقلات ، وبسبب رداءة الأحوال الجوية لم يكن بالإمكان إتمام جميع أعمال الصيانة المبرمجة أثناء وجود الناقل في الحوض ، وأقتضى الأمر إجراء أعمال الكشط على هيكل الناقل وإعادة طلائها أثناء وجودها في عرض البحر .

ولدى عودة الناقل « بوار » إلى أداء أعمالها المعتادة بعد ستة

لقد كانت عملية تحويل وتحديث الناقل « بوار » أجدى كثيراً من الناحية الاقتصادية من بناء ناقل جديدة أو شراء ناقل عاملة ستكون بحاجة هي الأخرى إلى إدخال تعديلات رئيسية عليها حتى تصبح في المستوى المطلوب لأسطول الناقلات الذي تملكه شركة شيفرون . وقد رصدت الشركة لبرنامج توضيب وتحويل الناقلات الأربع ما مقداره ١٣ مليون دولار . وستتم عملية التحويل بالنسبة للناقلات الثلاث الأخرى في الوقت المحدد لكل واحدة منها . هذا ومن الجدير بالذكر أن هناك حوالي ٨٠ ناقل نفط جديدة أوصت بينها شركات النقل البحري العالمية تتراوح حمولتها الساكنة بين ٣٠.٠٠٠ و ٤٠.٠٠٠ طن وستعمل جميعها بالديزل وذلك من قبيل الاقتصاد في الوقود

اعداد : يعقوب سلام - هيئة التحرير

أشهر من دخولها الحوض الجاف . أبدى المسؤولون في الشركة ارتياحهم لهذا الانجاز . فقد أصبحت حمولتها الجديدة الساكنة ١٥٠.٠٠٠ طن قادرة على الوصول إلى عدد أكبر من الموانئ البحرية التي كانت لا تستطيع الوصول إليها سابقاً بما في ذلك خليج سان فرانسيسكو . كما أنه بعد أن أصبح طولها الآن ٩٣٦ قدماً ستكون قادرة على الرسو في المراسي الموجودة في ميناء مصفاة التكرير في ال سكوندو والتي لا يتجاوز طولها ألف قدم . ويعلق رئيس الشحن البحري في شيفرون على عملية التقليل التي أجريت للناقل « بوار » فيقول : لقد أصبح لدينا الآن ناقل زيت جديدة . كما تتوفر فيها جميع المتطلبات الأساسية بالنسبة للسلامة والبيئة والمقاييس المعمول بها في الموانئ والناقلات في الولايات المتحدة والمؤسسة الحكومية الاستشارية والوكالة البحرية التابعة للأمم المتحدة .

الناقل « بوار » بعد أن أعيدت شكلها ووزنها الجديدين وهي تمرر عباب البحر أثناء إجراء التجارب اللازمة عليها .





من معارك الإسلام الفاصلة معركة بيت المقدس

بفتح: و. محمد بن علي الهرقي

إذ تسيطر الأسرة الأولى على البلاد الواقعة مباشرة أمام الصليبيين والتي تمتد من نهر الأورنت إلى الساحل بينما سيطرت الأسرة الثانية على الشريط الساحلي الممتد من وسط لبنان إلى الطرف الفاطمي وتعتبر صداقة هاتين الأسرتين أو على الأقل حيادهما أمراً جوهرياً إذ كان لابد للصليبيين من الزحف جنوباً (٢).

وقد أشار غير رنسيمان إلى هذه النقطة فذكر أن عدداً من أمراء المسلمين كانوا يتسابقون على إرضاء الصليبيين وتقديم المال والأغذية لهم. يقول الدكتور عاشور في كتابه الحركة الصليبية: «وهنا نجد معظم تلك الموانئ الساحلية تحاول أن تحذو حذو طرابلس نفسها فتحصل على مساهمة الصليبيين بأحسن الشروط الممكنة. من ذلك أن أهل بيروت عندما أحسوا باقتراب الصليبيين منهم عرضوا عليهم إمدادهم بالتموين فضلاً عن تقديم مبلغ كبير من المال. كل ذلك مقابل تعهد الصليبيين بعدم الإعتداء على البساتين ومزارع الكروم والغلال المملوكة للعرب. وأكثر من هذا فقد تعهد أهل بيروت بالدخول في طاعة الصليبيين والاعتراف بالتبعية لهم إذا هم نجحوا في احتلال بيت المقدس».

حاصر الصليبيون بيت المقدس ولم يكن باستطاعة الحامية الفاطمية أن تدافع عنه طويلاً فاستطاعوا دخول المدينة في

احتلال الصليبيين لبيت المقدس ثم كيف استطاع بطل الإسلام صلاح الدين تخليصه من أيديهم.

من المعروف تاريخياً أن الحركة الصليبية التي اتخذت الطابع العسكري شعاراً لها وجعلت هدفها أخذ بيت المقدس بدأت في أوائل القرن الحادي عشر للميلاد (١).

وقد كان البابا أربان الثاني صاحب الفكرة والداعي لتحرير بيت المقدس حسب زعمه - وقد وجه دعوته هذه أثناء انعقاد المجلس الكنسي في مدينة «كليرمونت» في فرنسا في شهر نوفمبر سنة ١٠٩٥ م وطلب من أتباعه توحيد جهودهم لاسترداد بيت المقدس من المسلمين.

وقد استجاب لهذه الدعوة كثير من الصليبيين واتجهت جموعهم إلى بيت المقدس.

وقد كان المسلمون آنذاك يعيشون حالة فوضى لا مثيل لها بل أن كثيراً من أمرائهم كانوا يحالفون الأعداء ضد اخوتهم المسلمين.

يقول «ستيفن رنسيمان» في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية» وهو يتحدث عن وضع أمراء المسلمين في الشام في تلك الفترة «وما هو أكثر أهمية عند الصليبيين ما كان من اتجاه أشهر أمرتين عريبتين بنى منقذ في شيزر وبنى عمار في طرابلس

لا شك أن لبيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين مكانة خاصة في نفوس جميع المسلمين.

واليوم وهذا المكان المقدس يرزح تحت نير الاحتلال اليهودي منذ سنوات عديدة جعلت بعض ضعاف النفوس من المسلمين يصابون باليأس من إمكانية عودته إلى حظيرة الإسلام والمسلمين قوياً عزيزاً كما كان بالأمس قبيل الاحتلال. ولكن غير هؤلاء ممن أشرت إليهم على ثقة كبيرة بنصر الله وهم ينتظرون هذا النصر صباح مساء لأن المؤمن الحق لا ييأس من روح الله. ول هؤلاء شواهد من التاريخ تدفعهم إلى العمل والتضحية والإخلاص حتى يحققوا ما حققه آباؤهم من قبل.

إن بيت المقدس مكث قرابة التسعين عاماً تحت حكم الصليبيين في ظروف عصيبة كان فيها المسلمون شيعاً وأحزاباً واستمر هذا الوضع المؤلم حتى قبض الله لأمرته بطلاً فاتحاً من أبطال المسلمين هو صلاح الدين الأيوبي فأعاد للمسلمين هيبتهم وأعاد لهم قدسهم الشريف.

وللقارئ الكريم أن يتساءل فيقول: وكيف استطاع هذا الرجل تحقيق ذلك النصر العظيم الذي أشرت إليه؟ وما هي وسائله؟

وللإجابة أود أن أعود إلى الوراء قليلاً فأحدث باختصار عن ظروف

يوم الجمعة الخامس عشر من شهر يوليو سنة ١٠٩٩ م .

وقد أشار المؤرخون المسلمون والمسيحيون إلى المجازر الرهيبة التي ارتكبتها الصليبيون عند دخولهم إلى بيت المقدس . فذكر « ابن الأثير » أنهم قتلوا سبعين ألفاً من المسلمين ومن هؤلاء « جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف أما « زنسيما » فذكر أن الصليبيين « انطلقوا في شوارع المدينة وإلى الدور والمساجد يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز » ثم قال بعد ذلك : « وفي الصباح الباكر من اليوم الثاني اقتحم باب المسجد قلة من الصليبيين فأجهزت على جميع اللاجئين وحينما توجه (ريموند آجيل) في الضحى لزيارة مساحة المعبد أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء والتي بلغت ركبته » (٤) . أما « ابن العبري » فقال : « ولبت الفرنج في البلد أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين وقتل في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً » (٥) .

وهكذا أخذ بيت المقدس أولاً ثم توسع الصليبيون في فتوحاتهم في بلاد الشام وهاجموا مصر أكثر من مرة وكان وضع المسلمين — كما أشرت — يساعدهم على تحقيق مآربهم .

وإشياء الله عز وجل أن يخرج لهذه الأمة نور الدين زنكي الذي استطاع بعد جهاد طويل أن يوحد أمة الإسلام وأن يهزم الصليبيين في أكثر من موقع . وبعد أن توفاه الله استلم مقاليد الأمور — بعد فترة لم تطل — صلاح الدين الأيوبي فجمع المسلمين ووحد جهودهم وهبهم للدور الكبير الذي يجب عليهم أن

يؤدوه ، « وكان صلاح الدين يدرك تماماً أنه لا يمكنه القيام بعمل حاسم ضد الصليبيين إلا إذا أوجد وحدة كاملة بين أقطار المسلمين ، ففرض خمسة عشر عاماً يعمل على جمع الشمل واستطاع بعد ذلك أن يكون جبهة إسلامية قوية تمتد من برقة غرباً إلى الفرات شرقاً ، ومن الموصل وحلب شمالاً إلى التوبة واليمن جنوباً وكانت الخطوة المنطقية بعد هذه الوحدة هي القيام بهجوم شامل على الصليبيين لتخليص بيت المقدس من أيديهم » (٦) .

وكانت موقعة حطين هي البداية الحقيقية لانتصارات صلاح الدين إذ استطاع في هذه المعركة التي وقعت صبيحة يوم السبت الخامس عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة أن يحطم قوى الصليبيين ، وأن يهبط المسلمين للقضاء على أكبر حركة استعمارية شهدتها العالم الإسلامي في العصور الوسطى .

اتجه صلاح الدين إلى بيت المقدس ، وقد استعد الصليبيون للمقاومة ، وكان كل منهم يرى أن « الموت أيسر عليه من أن يملك المسلمون البيت المقدس ، ويأخذوه منهم ، ويرى بذل نفسه وماله وأولاده بعض ما يجب عليه من حفظه » (٧) .

« بدأ صلاح الدين حصاره لبيت المقدس يوم الأحد الخامس عشر من شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ ، ولما اشتد على الصليبيين الحصار وشعروا أنهم عاجزون عن المقاومة أرسلوا في طلب الأمان مقابل الاستسلام ، فأجابهم صلاح الدين بقوله : « لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه سنة إحدى وتسعين وأربعمائة من القتل والسبي وجزاء البيعة »

« وقد شهد فتح المدينة مع صلاح الدين خلق عظيم من العلماء والصالحين وأرباب الحرف » وكان فتحاً عظيماً شهده من أهل العلم خلق عظيم ومن أرباب الحرف وذلك أن الناس لما بلغهم ما من الله به على يده من فتوح الساحل شاع قصده للقدس فقصدته العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف معروف عن الحضور وارتفعت الأصوات بالضجيج والدعاء والتهليل والتكبير ، وخطب فيه ، وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وحط الصليب الذي كان على قمة الصخرة وكان شكلاً عظيماً ونصر الله الإسلام نصر عزيز مقتدر » (٩) .

« وكان لفتح القدس واسترجاعه من أيدي الغزاة الصليبيين وقع عظيم في نفوس معظم شعراء تلك الفترة ، فأقبلوا يمتدحون صلاح الدين ويصفون هذا الفتح الكبير ، ويطالبون بال مزيد من الفتوحات . ومن هؤلاء العماد الأصفهاني الذي تحدث عن هذا الفتح بقصيدة طويلة مطلعها :

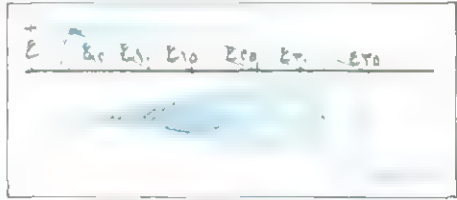
أطيب بأنفاس تطيب لكم نفساً
وتعتاض من ذكراكم وحشتي أنسا

حول تخطيط المناطق الصناعية وتنفيذ منشاتها

بقلم: حمزة سبلان

عنها والتي يمكن حصرها في: الضجيج ، والصدمات ، والإهتزازات ، والغبار والهباء ، والدخان ، والإشعاعات المختلفة ، والروائح الكريهة ، والغارات ، والبخار .

وبين الشكل رقم (٢) كيف تنتقل عوامل التلوث المختلفة بشكل « اهليجي » باتجاه مسار الرياح . ويكون هذا المسار متأثراً بالعوامل المناخية الأخرى كالحرارة والرطوبة النسبية والضغط الجوي .



إنتقال عوامل التلوث بشكل اهليجي (بيضوي) باتجاه مسار الرياح - (ع) هي ارتفاع مصدر التلوث عن مستوى الأرض

وهناك أيضاً عامل آخر يؤثر على انتشار التلوث هو ارتفاع مصدر التلوث نفسه عن سطح الأرض وقد رمز له في الشكل بالحرف « ع » فالرياح الشديدة تشتت دائرة التلوث وتقال بذلك من تركيزها . بينما تسمح الظروف المستقرة للطقس وخاصة في حال وجود الضباب من اتساع دائرة التلوث إلى مسافات أبعد وتحافظ على تركيزها . والوسيلة الفعالة للوقاية من التلوث هي التخلص من الفضلات الضارة في مواقع انتاجها وذلك بوضع المرشحات على فوهات الأنابيب .

كما أن هناك طريقة جيدة في مجال الوقاية تقوم على أساس غرس أحزمة من الأشجار بين المناطق الصناعية والمناطق الأخرى المخصصة للسكن أو الانتاج الزراعي حيث يكون لها دور فعال في ترشيح وتصفية خليط الهواء والغازات من الدقائق الترابية ومن بعض المركبات الغازية الضارة .

تنظيم المساحات المخصصة للمنشآت

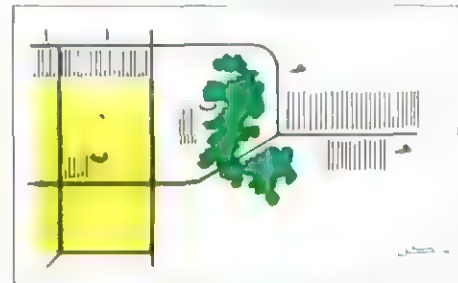
تختلف المساحة التي يقوم عليها مشروع صناعي ما تبعاً لعوامل كثيرة أهمها قدرة المصنع

أساساً في درجة التلوث ، كدرجة الحرارة اليومية وفروقها ثم الإشعاع الشمسي ونسبة الرطوبة .

يتم تخطيط المنطقة الصناعية على مراحل متتابعة . ومن هنا يجب تحديد هذه المراحل مسبقاً ، من حيث شكل وحدود ترابط كل منها بعملية التخطيط الرئيسية .

موقع المنطقة الصناعية بالنسبة للمدينة

هناك ثلاثة احتمالات ممكنة لموقع المنطقة الصناعية من المدينة تبعاً لنوعية الإنتاج الصناعي فهي إما أن تكون داخل المدينة (ضمن أحيائها) أو في محاذة المدينة (على المداخل والمخارج المؤدية إليها) أو خارج المدينة (أنظر شكل رقم ١) .



ثلاثة احتمالات لموقع المنطقة الصناعية بالنسبة للمدينة .

أ - في محاذاتها ب - داخلها ج - خارجها .

إن قليلاً من الصناعات الخفيفة والتي لا ينتج عن عملية تصنيعها أي آثار على البيئة نستطيع أن نقيم منشآتها داخل إطار المدينة أو في محاذاتها .

ويشترط في ذلك أن تكون تلك المنشآت مقبولة معمارياً ومتناسقة مع ما حولها من مبان في المظهر الخارجي وذلك محافظة على اللون والطابع المعماري الذي تختص به المدينة أو الحي .

أما باقي الصناعات والتي لا تخلو معادلة انتاجها من مؤثرات كيميائية - فيزيائية في مجال التلوث فيجب أن تبقى خارج حدود المدينة بشكل يضمن سلامة الأحياء السكنية والمناطق المدنية العامة من عوامل التلوث الصادرة

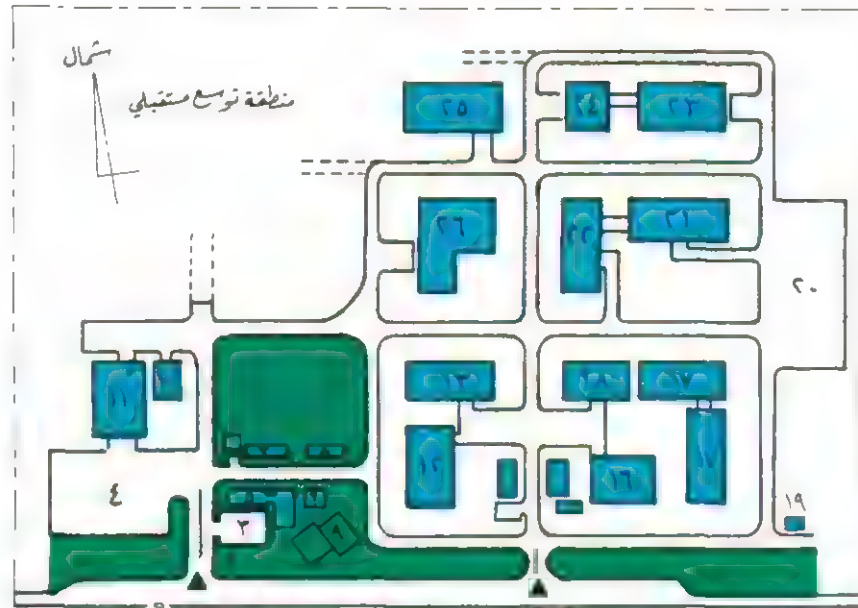
بعد الانفجار السكاني العام وارتفاع معدلات الهجرة من الأرياف إلى المدن ، وما يعني ذلك من إتجاه نوعي نحو مجالات التصنيع على حساب الاقتصاد الزراعي ، من الدلالات الأساسية التي تفرض نفسها أمام عملية التخطيط على مستوى المناطق ، وقبل أن تستفحل النتائج الاجتماعية والاقتصادية السلبية لهذه الدلالات يكون لتخطيط المناطق ضرورته التي لا غنى عنها في مجالات التطوير والتقدم الشاملة :

وتخطيط المناطق الصناعية - Industrial-Loneplaning ، هو جزء من عملية تخطيط المناطق ويتطلب تحقيقه إجراء مسح شامل لقدرات المنطقة المعنية وحركتها نحو المستقبل ، وهذا بدوره يتطلب :

• دراسة الإمكانيات الأساسية من حيث جيولوجية المنطقة ومصادر الطاقة فيها ، ثرواتها الاقتصادية ومدى استغلال هذه الثروات في وضعها الحالي والمنظور .
• دراسة الوضعية الحالية لشبكة المواصلات للاستفادة منها مبدئياً قبل إجراء التغييرات الضرورية التي تتضمنها عملية تخطيط المنطقة الصناعية .

• تحديد الأراضي المخصصة للمنطقة الصناعية وتلك المعدة للسكن والمرافق العامة . وهذا يتطلب المحافظة على الأراضي الزراعية المستقلة أو تلك التي يجري إصلاحها لفائدة الاقتصاد الزراعي ، وارتباطها بشبكة المواصلات وذلك حتى لا يكون مسار التوجه نحو تصنيع المنطقة على حساب الاقتصاد الزراعي .

• مراعاة الأصول الوقائية للسكان ومصادر المياه في المنطقة لتكون بعيدة عن عوامل التلوث المنتظرة . ويتطلب هذا دراسة شبكات المياه والمجاري وخطوط الكهرباء وغيرها وعلاقتها بالمنشآت الصناعية الجديدة ومرافقها التابعة . كما أن الحماية المسبقة من التلوث تستدعي دراسة المناخ المحلي - Microclimate للمنطقة من حيث سرعة الرياح وإتجاهها إلى جانب العناصر المناخية الأخرى والتي تلعب دوراً



شكل ٣ تنظيم الوحدة الصناعية

- ١ - مدخل خاص بالشاحنات والآليات - إلى الورش
- ٢ - مدخل لمباني الإدارة (رئيسي) .
- ٣ - موقف سيارات لمباني الإدارة والمرافق .
- ٤ - موقف شاحنات وآليات .
- ٥ - مباني الإدارة والفنيين .
- ٦ - مبنى خدمات عامة .
- ٧ - مطعم العمال .
- ٨ - مخبر .
- ٩ - ملاعب للرياضة .
- ١٠ - ورشة تصليح وصيانة السيارات الصغيرة .
- ١١ - ورشة تصليح وصيانة الآليات والشاحنات .
- ١٢ - مستودع مواد بناء خاصة بالزلزال الصوتي والحارري .
- ١٣ - مستودع أدوات صحية وتوابعها .
- ١٤ - إدارة المستودعات .
- ١٥ - إدارة مصنع الخرسانة الجاهزة .
- ١٦ - ورشة تصنيع العناصر الإنشائية الصغيرة بالخرسانة .
- ١٧ - ورشة تصنيع بانوهات الخرسانة المسلحة .
- ١٨ - ورشة معالجة واختبار العناصر الخرسانية الجاهزة .
- ١٩ - خزانات الوقود .
- ٢٠ - موقف للمعدات والآليات - مستودع مكشوف .
- ٢١ - ورشة البلاط .
- ٢٢ - ورشة الرخام .
- ٢٣ - ورشة الخشب .
- ٢٤ - ورشة لأعمال الخشب الدقيقة .
- ٢٥ - ورشة الحديد .
- ٢٦ - ورشة الطابوق .

التهوية في المنشآت الصناعية

يتم توجيه مباني ومنشآت المجمع الصناعي تبعاً لتأثير ومسار الرياح المحلية إلى جانب العوامل الأخرى التي سبق ذكرها . وقد رأينا دور الرياح الرئيسي في انتشار عوامل التلوث الناجمة عن المنشآت الصناعية ، وتوجيه مسارها بشكل « اهليلجي » تختلف كثافة تركيزه تبعاً لسرعة الرياح ومعدلات الرطوبة والإشعاع الشمسي ، وارتفاع مصدر التلوث عن مستوى الأرض . وعليه فإن توجيه المنشأة الصناعية يجب أن يكون ملائماً بحيث يتدنى تأثير التلوث على

الصناعية ، سواء داخل الورشة الصناعية أو خارجها في حدود المنطقة الصناعية . إن الإخلال بأي شرط من شروط التخطيط العام للمنطقة الصناعية أو بشروطها المتعلقة بالتهوية والإنارة وطريقة الإنشاء ، يعني إخلالاً مباشراً بسلامة العمل وتعريضه للمخاطر . وبالنسبة للنظام الإنشائي فإنه لا يمكن التقييد بشروط مسبقة في المجمعات الصناعية . إذ أن اختيار النظام الإنشائي يعتمد في الأساس على ما تفرضه الشروط المطلوبة للتهوية والإنارة في نطاق الظروف المناخية المحلية ، إلى جانب ما تتطلبه وظيفة المنشأة الصناعية .

الانتاجية ونوعية الانتاج الصناعي إلى غير ذلك من العوامل والتي تدخل بشكل مباشر أو غير مباشر في تخطيط المنطقة الصناعية بأكملها .

وتردد المساحات المخصصة لمباني المرافق والخدمات تبعاً لحاجة المصنع ذاته من حيث انتاجيته وحجم اليد العاملة فيه .

ويبين الشكل رقم (٣) رسماً تخطيطياً لوحدة صناعية كاملة مختصة في التجهيزات البنائية ومواد البناء المختلفة بما فيها الأجزاء الخرسانية للمباني من حوائط وبلاطات للأرضيات والأسطح وورش للألمنيوم والخشب والحديد ومعامل للرخام والبلاط والطابوق إلى جانب مستودعات لمواد البناء وتجهيزاته المختلفة .

أن تنظيم وحدة صناعية كاملة كما هو موضح في الشكل نفسه يعني بالضرورة مراعاة أصول تخطيط المناطق التي ذكرناها بالإضافة إلى ما سنأتي على ذكره من شروط خاصة بالمنشآت الصناعية ذاتها .

تم دراسة كل مرحلة من مراحل التنفيذ بتفاصيلها بعد الانتهاء من وضع أكثر الحلول ملائمة لشبكة المواصلات ، وحركة الآليات عابها ، وكذلك شبكات المياه والمجاري ، والكهرباء ، والهاتف وعلاقاتها بالشبكة الرئيسية للمنطقة في حال وجودها . أما في حال عدم وجودها فيجري عمل شبكة المياه والمجاري بشكل خاص للمنطقة الصناعية المعنية .

ويختلف تنظيم المناطق الصناعية عن المنطقة السكنية من حيث كثافة البناء ، أي أن المساحة الإنشائية للمباني والمنشآت المختلفة بالنسبة للمساحة الإجمالية للمنطقة في المناطق الصناعية تراوح بين ٢٥ و ٣٥ في المائة .

تنظيم المنشآت في المنطقة الصناعية

من أهم الشروط التي تنبغي مراعاتها عند تصميم المجمعات الصناعية في المناطق الحارة ، وخاصة ما يتميز منها بالرطوبة . هو استخدام الأسس المثل لتوجيه المباني ، مثل عدد طوابقها . أو ارتفاعها وأسس تزجيج النوافذ والفتحات .

وهناك مجموعة من التدابير والإجراءات لا بد من الإلتزام بها للحصول على أسلوب أفضل للتهوية والإضاءة الطبيعية . ومن أهم هذه التدابير مراعاة أصول السلامة في المجمعات

Synthetic Materials - ذات الألوان

الفاتحة إلى جانب طرق أخرى عديدة .

والموصول على تهوية فعالة يجب مراعاة ما يأتي :

• الفروق في درجات الحرارة اليومية حيث تشكل عاملاً أساسياً في تحديد سرعة الريح . ففي المناطق الحارة تنخفض درجة الحرارة مع حلول المساء وبشكل هذا الهبوط دورة للهواء البارد والساخن فتصبح حركة الهواء أسرع ، تنشط أحياناً لتصل في المعدل إلى ١.٣ م / ثانية . وفي الصباح الباكر يتكرر الوضع حيث يبدأ الجو بالاحترار .

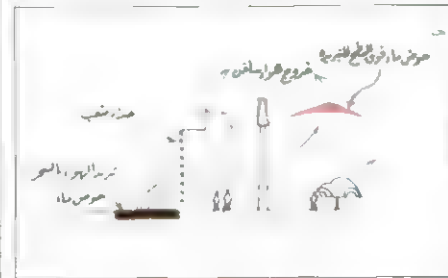
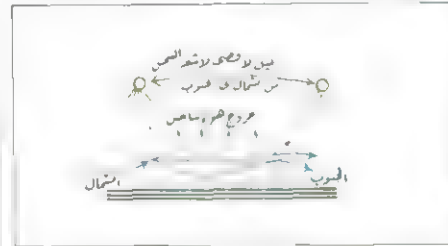
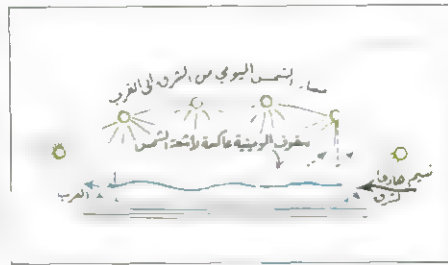
وبشكل عام فإن حركة الهواء تزداد بارتفاع درجات الحرارة كما يبين الشكل رقم (٥) . ولكن الذي يحصل أحياناً هو أن نسبة الرطوبة العالية تحد من سرعة الريح وبالصيف من نشاط التيار الهوائي ، خاصة في الساعات التي تلي مباشرة منتصف النهار حين تكون الذرات المتبخرة قد وصلت إلى أقصى معدلاتها .

• الفروق بين درجات الحرارة داخل المنشأة الصناعية وخارجها ، حيث تشكل تياراً محلياً يزداد نشاطه باتساع الفارق الحراري بين الداخل والخارج .

• تنظيم الفتحات في واجهات وسقوف المنشأة ، فهي تتحكم إلى حد كبير بمسار التيار الهوائي ، فإذا ما كانت التهوية المتبعة طبيعية فإن مساحة الفتحات تصل إلى ٦٠ ٪ من مجموع مساحات الواجهات والأسقف . وتكون فتحات خروج الهواء العلوية ضرورية سواء في السقوف أو على ارتفاعات عالية من الواجهات حين تكون فروق الحرارة الداخلية والخارجية منعقدة أو قليلة وذلك من أجل إيجاد التيار الهوائي اللازم (أنظر الأشكال ٤ ، أ ، ب ، ج ، ٥) .

وفي الشكل (٦) توضيح لكيفية فتح النوافذ إذ يجب أن يتم فتح النوافذ حول محورها الأفقي السفلي أو الأوسط ، ومن الخطأ فتح النافذة حول محورها العمودي أو حول محورها الأفقي العلوي لأن ذلك يجعل مسار التيار الهوائي منخفضاً مما يترتب عليه إعاقة العمل .

أما تلك الفتحات التي في السقوف أو التي يريد ارتفاعها على مترين . فإن التحكم بفتحها وإغلاقها يجب أن يتم بطريقة أوتوماتيكية .



أ) واجهة تربية للمصنع
ب) واجهة العرضية للمصنع .
ج) تفصيلة الجدار المنقّب في المصنع وعملية التبريد والتهوية بواسطة أحواض الماء من الجهتين الشمالية والجنوبية .

والإنشاء لمثل هذه المناطق الحارة سواء كانت جافة أو رطبة ، فقد أمكن التوصل إلى تطوير طرق فعالة من شأنها خفض درجة حرارة المباني والمنشآت ، ومن هذه الطرق :

• استخدام السقوف ذات الأشكال المنكسرة أو المتعرجة التي تساعد على تقليل زاوية سقوط الأشعة .
• استخدام سقوف تحتوي على فراغات كبيرة كعازل حراري .
• إنشاء أحواض مملوءة بالماء فوق السطوح ، حيث يؤدي تبخر الماء فيها إلى تبريد السطح بشكل فعال . كما في الشكل (٤ ج) .
• تغطية السطوح برمال فاتحة الألوان . لها معامل انعكاس يساوي ٦٠ ٪ . أي أنها تعكس ٦٠ ٪ من الإشعاع المباشر على السطح .
• تغطية السطوح برقائق من المواد الاصطناعية

المحيط إلى أقل درجة ممكنة .

أما النظام الإنشائي فيجب أن يكون على استعداد لتحمل قوة دفع الريح للمبنى ، وهذا يستدعي مرونة انشائية عند التصميم ، وإختيار المواد المناسبة ، ودراسة جيدة عناصر الإنشاء المختلفة من أعمدة و « كمرات » وكيفية تنفيذ الوصلات فيما بينها .

وفي المناطق الحارة تكون الحاجة ماسة إلى تحسين المناخ المحلي - Microclimate داخل المنشآت الصناعية وذلك بتوفير الظروف المقبولة ، التي تساعد على قيام الإنسان بالأعمال الفعالة . هناك أمثلة كثيرة لمناطق صناعية كاملة منفذة في كثير من مناطق العالم الحارة والجافة أو الحارة الرطبة ، ونورد هنا مثلاً لمنشآت مصانع « فولكس واغن » في فزويلا للتعرف على بعض الأساليب التي استعملت فيها بنجاح من أجل الحصول على تهوية ناجحة (أنظر الشكل ٤ أ ، ب ، ج) .

فالمبنى الرئيسي تم توجيهه بشكل يتلاءم مع اتجاه الرياح السائدة . وإبعاد المبنى هي ١٢٠ × ٦٠ م والارتفاع الخالص هو ٧ أمتار . أما السقوف فقد صنعت من عناصر قشرية Shell Elements على هيئة قمع وذلك لأجل الحصول على أحسن التأثيرات والخواص الأيرودينامية Aerodynamic .

هذه العناصر القشرية القمعية الشكل تبلغ أبعادها ١٢ × ١٢ م وتكون بمثابة حاجز يعكس ٦٠ ٪ من الإشعاع الشمسي المباشر (شكل ٤ أ ، ب) .

إن هذه القطع المكافئة Paraboloids للسقف ، مائلة قليلاً نحو الشمال ، وبفضل ذلك تتكون فتحة قطرها ١,٥ م تستخدم لأغراض التهوية والإضاءة الطبيعية ، وتحسن التهوية الطبيعية بفضل استخدام فتحات واسعة من الواجهتين الشمالية والجنوبية في جدار ذي ثقب مطوق بألواح عازية Baffle Plates على ارتفاع الحائط بأكمله . وقد وضع عند الجدار خزان أو حوض صغير للماء يؤدي عند تبخر الماء منه إلى تبريد الهواء الذي يدخل عن طريق الجدار المنقّب إلى صالة العمل فيطرد بذلك الهواء المسخن من الصالة (أنظر الشكل ٤ ج) وبفضل الخبرة الطويلة في مجال التصميم

أما على مستوى المنشأة الصناعية نفسها ، فإن لوظيفة المنشأة أهمية في تحديد نوعية الإنتاج ومن ثم المعدات والآلات المستعملة وعدد العاملين فيها . هذا إلى جانب تحديد مادة البناء المستعملة وأسلوب الإنشاء . ولكن ما هي الأخطار التي تتعرض لها سلامة المنشأة الصناعية والعاملين فيها ؟

• تعتبر أفران الإحتراق في الصناعات التحويلية أول هذه الأخطار . ويمكن القول بأن جميع المصادر الحرارية تشكل خطراً على السلامة بنسب متفاوتة .

• هناك أيضاً الغبار والهباء حين احتوائهما على نسبة كبيرة من المواد السامة أو المواد القابلة للإنفجار أو الاشتعال .

• الغازات السامة أو تلك القابلة للإنفجار أو الاشتعال .

• الضباب الشديد .

• الاهتزازات والارتجاجات الصادرة عن الآلات والمعدات المختلفة .

• الحرائق والانفجارات الناجمة عن أخطاء في الشبكة الكهربائية أو مصادر الطاقة الأخرى .

• الإشعاعات الضارة .

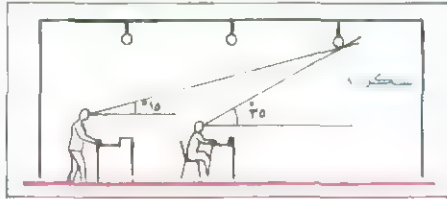
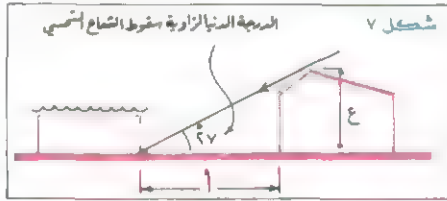
على ضوء هذا يمكن لنا أن نوجز الملاحظات التالية في مجال تنفيذ المنشآت الصناعية والمتعلقة بسلامتها :

• المنشآت الصناعية التي تحتوي على أفران احتراق وكائنات للاشتعال يجب أن يراعى تحديد موقعها من الوحدات الصناعية الأخرى على مستوى تخطيط المنطقة الصناعية مسبقاً . ويدخل ضمن هذه ، المنشآت أو المستودعات التي تحتوي على مواد قابلة للاشتعال .

• عزل الأفران داخل الوحدات التي تضمها بعوازل حرارية فعالة وذلك للحيلولة دون إمتداد الحرارة الصادرة عنها إلى مساحات أكبر لدى تشغيلها .

• بناء الأساسات والأرضيات في المنشآت التي تضم آلات ذات الاهتزاز بطريقة خاصة وحسب القاعدة الأساسية فلن « الماكينات » التي تحدث ضربات أو صدمات أو تلك التي يحدث عن تشغيلها إهتزازات متتابة ، يجب أن تحدد أماكنها على أرضيات مرنة تخفف من امتداد

تكون قوة إنارة الفضاء الخارجي أقل من ٥٠٠٠ لوكس (اللوكس — LUX هو وحدة لقياس كثافة الدفق الضوئي) . وبين الشكل رقم ٨ كيفية توجيه المصدر الضوئي من مكان عال وبشكل مائل قليلاً بحيث لا يشكل انتشار الضوء انعكاسات ضوئية تؤذي أبصار العاملين . أما إذا كان الضوء الطبيعي نفسه يشكل انعكاسات ضوئية مؤذية خلال النهار فيجب استخدام ستائر أو أنواع قاتمة من الزجاج ، أو عمل « خرجات » معمارية في الواجهات نسميها عادة كاسرات الشمس — Sun Breakers أفقية أو عمودية حسب توجيه المبنى وزاوية سقوط الشعاع الشمسي .



العلاقة بين المبنى الصناعي من ناحية تنويرها الارتفاع (ع)

المسافة بين منشأتين صناعيتين (مبين) (أ) .

أ = ٢ ع في الحد الأدنى .

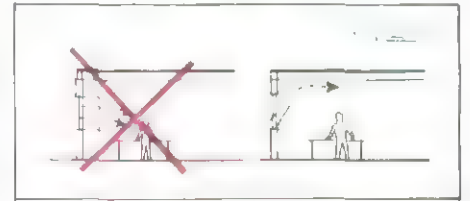
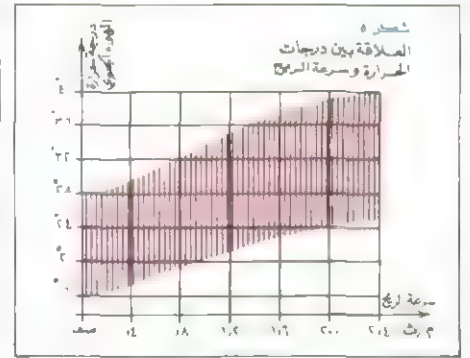
أ = ٢٠ متراً في الحالات العادية .

توجيه المصدر الضوئي في صالة المصنع .

انتشار الضوء لا يشكل انعكاسات تزعج العاملين .

السلامة في المنشآت الصناعية

يحتل موضوع السلامة الصناعية مكانة ذات أهمية بالغة في مجال تخطيط الصناعة وتنفيذ منشأتها . فعلى مستوى التخطيط يلعب موقع الوحدات الصناعية دوراً بارزاً في تحديد مدى سلامة هذه الوحدات ، كما أن لترتيب وضع المباني والمنشآت وكيفية توزيع المساحات وشبكة المواصلات وحركة السير عليها أهمية كبرى في هذا المجال .

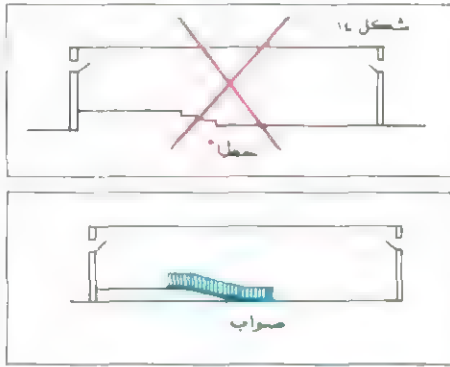


الطريقة الصحيحة الطريقة الخاطئة
لفتح النوافذ التيار الهوائي يشكل
ازعاجاً للعاملين .

إنارة المنشأة الصناعية

نظام الإنارة — Lighting System ويمكن أن يتم بالإنارة الطبيعية أو الاصطناعية أو بكليهما . وتؤكد الدراسات التي أجريت خلال العقد الفائت أنه من المستحسن ألا يتم المزج بين النظامين الطبيعي والاصطناعي في إنارة المنشآت الصناعية خلال ساعات النهار ، بل يجب الاعتماد على واحد منهما بشكل دائم وعليه يجب أن تخضع التصميمات العامة وتنظيم الفتحات لتأدية وظيفتهما ضمن ما تحدده الدراسات المسبقة للمشروع من حيث نوعية الإنارة والمهم في الأمر هو أن تكون إضاءة الصالات الصناعية متساوية في قوتها ، وذلك يتم بحسن إختيار المصدر الضوئي ووضعه من الصالة ، وهو ما يخضع في الأساس لما ذكرناه سابقاً من أهمية توجيه المبنى بالنسبة للجهات الأربع ، وتنظيم المنطقة الصناعية من حيث دراسة العلاقة بين ارتفاعات المباني والمسافات الأفقية التي تفصلها عن بعضها (كما يبين الشكل رقم — ٧) .

إن مزج النظامين الطبيعي والاصطناعي يكون مقبولا في ساعات الصباح الباكر أو في الساعات الأولى من المساء . وبالصبط عندما



في حال اختلاف المنسوب في نفس المبنى تعمل منحدرات Ramp ويتم تحاشي عمل الدرجات .

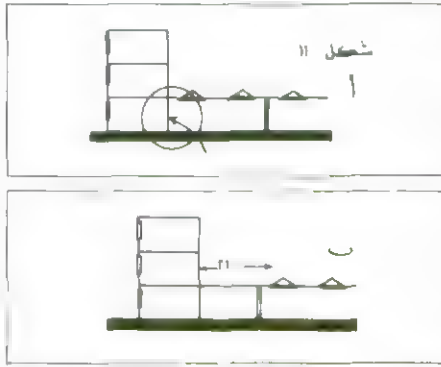
الشكل رقم ١٣ بحيث يسمح لها بأن تتطابق في الاتجاه المعاكس في حال وقوع الانفجار . ومن المستحسن أن يتم تمديد شبكة مياه الإطفاء داخل المبنى في السقوف بحيث تفتح أوتوماتيكياً . عدد العمال ونوعية الإنتاج الصناعي يفرضان تحديد قياسات الممرات والسلام والمصاعد داخل الوحدات الصناعية . ولابد من الإشارة إلى أن العرض الأدنى للممرات يجب ألا يقل عن ١٢٠ سنتيمتراً في أي حال من الأحوال .

وفي حال وجود مناسيب مختلفة الارتفاع في أرضية الطابق الواحد فإن حلها لا يكون عن طريق عمل سلالم بل بواسطة منحدرات Ramps لا يزيد نسبة ميلها على ١٠٪ في أقصى الحالات ، وأن تكون محمية بدرابزين لا يقل ارتفاعه عن ٩٠ سنتيمتراً (أنظر الشكل رقم - ١٤) .

فمن خلال الملاحظات السابقة الذكر ، سواء منها ما كان على مستوى تخطيط المناطق لمجمل المنطقة الصناعية أو على مستوى المنشآت الصناعية منفردة . نستطيع أن ندرك مدى الترابط المتكامل بين الاثنين .

وبعد ... فإن الأخطاء أو العيوب التي تقع في التخطيط تكتشف عند البدء بتنفيذ مشروع المنطقة الصناعية مما يقتضي تغيير وضع المباني الأمر الذي يترتب عليه إجراء تعديلات أو تغييرات في شبكة المواصلات وكذلك في توجيه المنشآت . وهكذا ينفرط العقد الذي يبدأ بالتخطيط الشامل للمناطق الشامل وينتهي بأدق التفاصيل في تنفيذ المنشآت الصناعية □

حمزة شلاق - بيروت



في عدم وجود حائط عازل بين المبنيين يجب أن تكون فتحات السطح في المبنى إلى اليمين بعيدة ١٠ أمتار على الأقل عن حائط المبنى إلى اليسار . عربات الإطفاء والاسعاف من العبور والحركة بحرية وسهولة حول المبنى .

أما على مستوى الإنشاء ، فإن منع امتداد الحريق يتم كما هو مبين بالشكل (١١ أ ، ب) باتخاذ الاحتياطات اللازمة مسبقاً . فتحات السطوح في أية منشأة صناعية يجب أن تكون بعيدة على الأقل نحو عشرة أمتار عن حائط المنشأة الأخرى المنتصق به . كما يجب أن يتم عزل المبنيين ببناء حائط عازل ضد الحريق . كما ويمكن وضع فواصل عازلة في الأرضيات لمنع امتداد الحرائق .

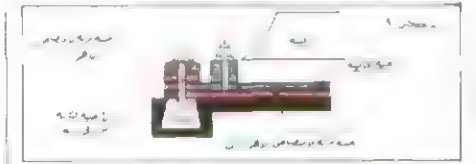
في المنشآت الصناعية التي يخشى من وقوع انفجارات بداخلها نتيجة وجود مراحل للتسخين أو معاملة للغازات أو ما شابه ذلك ، نبنى السقوف بحيث تكون منفصلة إنشائياً عن جدران المبنى كما هو موضح في الشكل رقم ١٢ . أما النوافذ فتصنع أيضاً بفرز للخارج كما في



السقوف منفصلة إنشائياً عن حوائط المبنى إلى جانب كونها من مادة وإنشاء خفيفين . مواسير شبكة المياه المعدة لإطفاء الحريق تحت السقف مباشرة وتفتح أوتوماتيكياً حال اندلاع الحريق .

موجات الإهتزاز أو من قوة الصدمة على الأجزاء الأخرى للمنشأة (أنظر الشكل رقم - ٩) .

بالنسبة للحريق أو الانفجار ، فإن أهم عامل للسلامة في هذه الحالات هو سرعة إخلاء المبنى أو المنشأة ويوضح الرسم (رقم - ١٠) مخططاً لإحدى الوحدات الصناعية يبين المداخل والمخارج والمسافات المعتمدة في تنظيم وضعيتها . ويعتمد هذا على عدد العاملين . وحجم المنشأة وعدد الأدوات فيها .. ففي المنشآت ذات الطابق الأرضي يجب ألا تزيد المسافة القصوى بين مكان وجود العامل وبين المخرج على ٣٠ متراً . في حين تقل هذه المسافة إلى ١٥ متراً في الوضع الذي يكون فيه مكان وجود العامل محصوراً بين حائطين في زاوية المبنى .



- أ - مدخل ومخرج رئيسي
- ب - مخرج احتياطي
- ج - درج بين الأدوار
- د - المسافة بين موقع العمل والدرج (د) لا تزيد عن ٣٠ متراً .
- هـ - المسافة بين موقع العمل المصور في الزاوية وبين الدرج (د) لا تزيد عن ١٥ متراً .

أما النوافذ فيجب ألا يزيد ارتفاعها عن أرضية المنشأة أكثر من متر واحد في الطابق الأرضي ، وعلى ١,٥ متر في الطوابق العليا . أما في المنشآت التي تزداد فيها نسبة الخطورة الناجمة عن الحريق ، فيمكن تزويدها بسلامة جاهزة معلقة على الواجهات .

وتقديراً لامتداد الحريق من مبنى إلى آخر . تتخذ الاحتياطات اللازمة على مستوى التخطيط العام والإنشاء . فعلى مستوى التخطيط يجب ألا تقل المسافة بين المباني عن ٢٠ متراً ، كما يجب أن تزال جميع العوائق وأعمال الردم حول المباني وأن تمهد الأرض جيداً وذلك لتمكين

العبادة

سفر: حبر الرحمن حبر الكريم العبد

بقية من شباب كاد يسيه
الذو اليوم ما رقت حواشيه
على ضفاف نديات مجانبه
وضمته الأفق في مجلى دراريه
فراح بالعطر ناديه وذاوره
وشفت عن شاعر ما كان يخفيه
بطارف من معين الفكر تزجيه

عادت إلى الشاعر المحزون تشجيه
وفاض بالحب قلب في صبابته
ناهيك عن ربوة للشعر حاملة
مالت إليه كعاب الشمس تلثمه
وافتر لغر الأقاحي عن بشاشته
وشفت عن بلبل ما كان يدعه
حتى أفاقت روايه معطرة

نجومه تملئ من قوافيه
وللصباح نشيد الفجر يرويه
عن ناصع المجد قد أزهرت نواحيه
ما رقّ من حن للناس يديه

يا شاعرا هز عطف الليل فانتلقت
من للأراهر بشجيتها وبطربها
وللتباب سيدكي روحهم ألما
وللطبيعة بملي من مفاتنها

ما رشفت على نغم أناجيه
تجيش بالضئ في أغلى أمانيه
هنّ الخوالد من لحن يناغيه

هات الشيد فحسبي أنني ثمل
والشاعر الحر من يشدو بعاطفة
يبلى الزمان وما تبلى له حلل





تصوير تجمیل الكتب العربیة فی الإسلام

تأليف: (الأستاذ) محمد محمد الجواد المصطفى
عربي وتحليل: السيرة أحمد مكي بنغراوي

« ومع خاتم الرسالات السماوية ، وضحت العداوة التي يكنها الإسلام للأصنام والنحت والصور المجسمة » (١) مما جعل المسلم يخشى أن يقع في الأثم كلما اقترب من صورة أو رسم . وهذه الخشية دفعت الفنان العربي والمسلم على امتداد التاريخ الإسلامي ، إلى الإنصراف عن النحت ، والمجسمات ، مفجرا طاقاته الفنية في فنون أخرى . فالإبداع في الخطوط الجميلة ، والزخرفة ، والتذهيب . والتجليد الفاخر للمخطوطات والكتب . يقول الأستاذ محمد صبحي الحباخنجي في مقدمة كتابه « الفن والقومية العربية » « وولعوا - أي الفنانين العرب والمسلمين - بالإكثار من هذه الزخارف الخطية والأشكال الهندسية والنباتية وبالغوا في ملء كل مساحة بها حتى اتهموا بالفرع من الفراغ » .

تصوير الكتب العربية والنقش في تجمیلها وزخرفتها

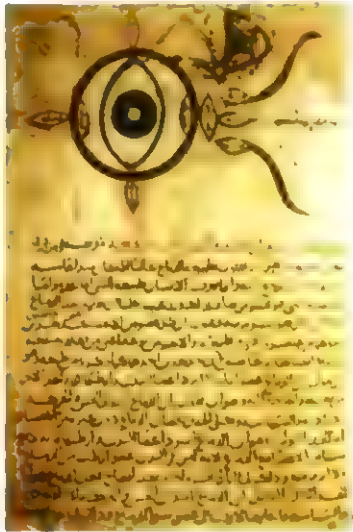
لقد استطاع العرب والمسلمون من خلال المد العربي الإسلامي الذي شمل مساحات شاسعة من الأرض الممتدة من تخوم الصين حتى بحر الظلمات (المحيط الأطلنطي) استطاعوا إثراء الحضارة الإسلامية بألوان من ثقافات مختلفة ، وكان الدور الذي فرض نفسه على العلماء والمفكرين والمثقفين العرب والمسلمين ، هو أن يطلعوا على تلك المعارف أولا وأن يهضموا - ما يتفق وعقيدة الإسلام - من تراث تلك الشعوب والبلاد التي فتحوها ، في الطب والفلك والرياضة ، في الزراعة وعلوم الحيوان ، في الفكر الفلسفي ، وفي الفنون ، التي كانت لدى الفرس ، والهنود ، وعلماء اليونان وغيرهم . ومما لاشك فيه

تاريخ الجزيرة العربية في العصر الجاهلي ، بالعديد من الدلائل التاريخية . التي تشير إلى حقيقة أن العرب كانوا يتمتعون بحس فني ، وذوق مدرك للفن التشكيلي . ولعل كتابة المعلقات بالذهب على الحرير . وتعليقها على جدران الكعبة يؤكد لنا هذه الحقيقة . كما أن معرفة العرب الجاهليين للنماذج المنسوجة والمزخرفة والتصوير والنحت ، تتضح من خلال اهتمامهم واستخدامهم للثياب والبرود اليمانية والقبطية والدمشقية والموصلية . ولقد أتاحت حركة تجارة قريش ، وقبائل مكة ، وقبائل الجزيرة شمالا وجنوبا ، أتاحت الفرصة لهم لمشاهدة الإبداعات الفنية التشكيلية عند فارس . والروم ، ومصر ، وبلاد ما بين النهرين . ومن وقائع السيرة الشعبية لعنرة العباسي عودته المنتصرة ، حاملا الغنائم والهدايا ، والتي كان من بينها السرادق الكبير ، الذي ازدان بالزخارف ، ثم أن الأصنام والتماثيل التي كانوا يعبدونها ، في أثناء تحوير للأله الفرعونية والرومانية التي شاهدها ، في أثناء رحلاتهم وتجارتهم ، ف « بعل » تحوير لأبولو ، والعزى تحوير لايزيس .



(١) باب بيع التصوير التي ليس فيها روح وما يكره من ذلك . من كتاب البيوع - صحيح البخاري .

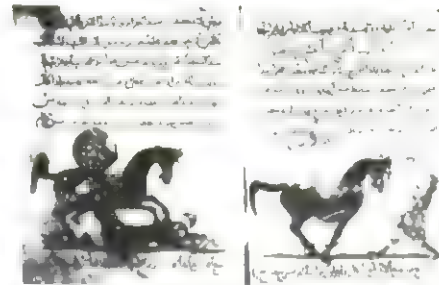
وفي مرحلة الإبداع الذاتي لدى الفنان المسلم نراه لا يجد حرجا في تجميل ديوان شعري بتصاوير زخرفية للنبات كالأزهار والسنايل والأشجار ، أو للحيوان كالسباع والغزلان والظباء والطيور والأسماك ، ولكننا نراه يمسك يده حينما تصل إلى تصوير الإنسان ، وهكذا توالى مؤلفات العلماء والجغرافيين وكتاب الرحلات والأطباء والجراحين وغيرهم ، وقد احتوت على العديد من الصور التوضيحية والرسوم والخرائط ... إلخ . وفي ميدان الطب والتشريح يوجد من الكتب المصورة ، كتاب « تركيب العين » لحنين ابن إسحاق



« صفحة من مخطوط « تشريح العين » لابن إسحاق »

٢١٥ - ٢٩٨ » وهو يتناول تشريح العين وأمراضها ، ويشتهر حنين بتعريبه لكتب الحكم اليونانية كأبيه ، وكان رشيد الدين الصوري (المتوفى سنة ٦٣٩ هـ) يخرج لدراسة الحشائش في منابتها ببلاد الشام . مصطحبا مصورا ومعه الأصباغ إلى مواضع النبات ، فيسجل بالكلمة ، والرسم ما يلاحظه على النبات .

وفي علم الجغرافيا ، ألف « أبو زيد البلخي » في القرن الهجري الرابع كتابا صور فيه الأقاليم السبعة حيث يعتبر أول مصور جغرافي إسلامي ، كذلك اشتهر الشريف الأديسي بكتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذي حوى خرائط تفصيلية ، وحوى كتاب



صفحتين من كتاب « البيطرة وانتاج الخيل وتربيتها وتدريبها » ، لم يعلم مؤلفه .

أن المسلمين قد بهروا بما وجدوه في فارس من كنوز كسرى ، كما أنه يمكن القول بأن حضارة فارس ، كانت حضارة الصورة ، ولعلنا نجد في التراث الحضاري الفارسي ، ما يؤكد لنا هذه الحقيقة ، فقد تناول شعراؤهم الفحول كالفردوسي ، وعمر الخيام ، والسعدي ، وحافظ ، موضوعات تصفج بالصورة ، فالشاهنامة التي تتشابه مع الياذة هوميروس في روايتها لبعض المراحل من تاريخ فارس ، حوت أخبار الملوك والحكام ، ووصف الأقطار ، ومواقع البلدان . وكتاب مثل « كليله ودمنة » الذي ترجمه عبد الله بن المقفع في زمن أبي جعفر المنصور (المتوفى سنة ١٥٨ هـ) ، إلى اللغة العربية . جاء فيه ما يؤكد أنه في نصه الأصلي . كان مصورا .



حيث تجيء عبارة تقول مثلا عن أغراض الكتاب « إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنسا لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور » .



لوحة ملونة من رسم الفنانة الأمريكية « سوزانا فريتز » لقصة من كليله ودمنة .

« قانون الدنيا وعجائبها من مشرقها لمغربها » لأحمد بن علي زنبيل المحلي . مئات الصور والخرائط ، وعلى نفس المنوال جاءت كتب المسالك والممالك لابن حوقل ، والمسالك والممالك لابن خردادبة ، وكتاب الأقاليم للأصطخري .



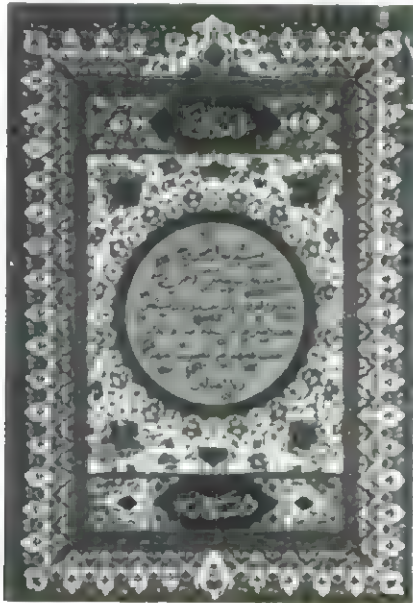
صورة العراق من كتب الأقاليم للأصطخري .

وهكذا نجد هذا الاهتمام بالصور في كل ما ألفه العلماء والكتاب العرب والمسلمون ، سواء كان الأمر يتعلق بكتاب في الفروسية ، أو في باب الرسوم الهندسية والميكانيكية كالساعات ، أو آلات رفع المياه ، أو حتى في الطرب والغناء والموسيقى .

زخرفة المصاحف السريفة

أبدى الفنان المسلم عناية خاصة بالمصحف الشريف . كتاب الله المنزل على عبده ورسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم . فلقى المصحف الشريف أعظم درجات التفنن من الخطاطين ، والمزخرفين ، والمزوقين ، والمجلدين . ولا عجب فالفنان المسلم يستشعر نوال البركة والثواب والأجر من الله عندما يتفانى في خدمة كتاب الله . والحقيقة أن مختلف فئات المجتمع العربي المسلم لم تكن بأقل تفانيا من الفنانين في هذا السبيل ، حتى أن بعض السلاطين كان يتبرك بكتابة المصحف بيده ليحفظ في المساجد . وليس من شك في أن القرآن الكريم ليس في حاجة إلى زينة من خارجه ، فكماله وجلاله وجماله تنبعث من كلمات الله التامات ، لكن الرغبة في نوال البركة هي الدافع وراء الحرص والعناية بمخطوطات القرآن الكريم .

ورحلة التفنن في كتابة المصحف الشريف ، تبدأ بالكتابة ، فقد استخدمت أجمل الخطوط ، ومنها الخطوط الكوفية التي يرجع أقدمها إلى أواخر القرن الهجري الأول ، واستخدمت كل أصناف الرقوق والجلود والكواغد ، ولجأ الخطاطون والمذهبون إلى استخدام ألوان عديدة من المداد والألوان ، وكتبت المصاحف على صفائح الذهب والفضة ، وعلى صفائح العاج ، وطرزت آياته بالذهب والفضة على الحرير . لقد عرف (الذهب) حيث مرّ تذهيب المصحف بمراحل بين الألوان ، بدأت بوضع أشربة تفصل بين السور ، ثم بين الآيات . وأضيفت بعض العناصر الزخرفية التي تدل على أجزاء المصحف . وفي القرن الثاني الهجري بدأت كتابة أسماء السور داخل الأشربة بحروف من الذهب ، ثم انتقل التذهيب إلى الصفحات الأولى .



ومن أشهر المصاحف النادرة في العالم ، والمنوودة بدار الكتب بمصر ، مصحف يقال أنه مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه . الذي استشهد حينما كان يقرأ فيه ، وقد كتب بخط كوفي على رق غزال من غير شكل ولا نقط ولا كتابة أسماء السور ، كما أنه توجد

صورة شمسية للمصحف المعروف بالسمرقندي ، ومصاحف أخرى منسوبة لأبي سعيد الحسن البصري .
أبي جعفر الصادق ، وللسلاطين قلاوون ، وشعبان ، وبرقوق ، والموئيد ، خوند بركة أم السلطان شعبان ، وغيرهم .

صناعة الحبر والدرار والألوان

ينقل المؤلف عن صبح الأعشى للقلقشندي ، بعض طرق صناعة المداد ، ومنها نوع يصنع من مواد لا تحتاج إلى علاج كبير كالعفص ، الزاج ، الصمغ ، كما أن منها ما يحتاج إلى علاج وتدبير وهو الدخان ، الذي ينتج عن أصناف تحتوي على مادة دهنية كبذور الفجل ، والكتان ، أما سخام النفط فهو أجود أنواع المداد . ويناسب حبر الدخان بعض أنواع الورق المسمى (الكاغد) ويناسب الرق الحبر الرأسي . ولا دخان فيه ، لكنه مضر بالبصر لبريقه .

ويستخدم ورق الذهب بعد أن يحل في الليمون الصافي النقي في إناء ضيق ليكتب بما يترسب من ورق الذهب في كتابه الذي هو عن فواتح الكلام ، من الأبواب ، والفصول ، والأوامر السلطانية ، والأسماء الجليلة . وإلى جانب ورق الذهب هناك اللازورد ، والزنجفر المغربي ، والمغرة العراقية .

كما يتحدث مؤلف الكتاب عن الآلات المستخدمة في الكتابة ، وهي كالتالي : الملوّاق الذي تلاق به الدواة ، والمرملة (المتربة) والمنشأة (للصق) والمنفذ (المخرز) لحرم الورق ، المسطرة ، المصقلة ... إلخ .

وقد اعتنى المؤلف بتقديم دائرة معارف مختصرة للرسمين والمصورين والمزوقين والمزخرفين ، مرتبة حسب الحروف الهجائية .

نوابغ الخطاطين العرب

كانت قلة من أهل مكة ، والمدينة ، هي التي تكتب ، وكان منهم : زيد بن ثابت ، يكتب بالعبرية والعربية ، أبي بن كعب ، بشير بن سعد ، عبد الله بن الأرقم ، ثابت ابن قيس بن شماس ، خالد بن سعيد بن العاص ،

معاوية بن أبي سفيان . وكان الخلفاء الأربعة أول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بعث . وبعد الفتح العربي الإسلامي ، ظهرت الحاجة إلى إجادة الخط ، ووصل إلى درجة عالية من الإتقان في الكوفة وأنبصرة ، كما كانت بغداد مركزاً هاماً من مراكز ومدارس الخط العربي ، واشتهر من الكتاب علي بن مقلة الوزير ، ثم جاء بعده علي بن هلال الكاتب الشهير بابن البواب وهو الذي أكمل قواعد الخط العربي . وتممها : مكمل عمل الوزير ابن مقلة .

بعض الدرامات على الكتاب

أخطأ المؤلف ، عندما كان يتحدث في (صفحة ٣٠) عن آثار سامراء . فأشار إلى أن المدينة المدفونة في الغرب هي بمبى ، والصحيح أنها (بومبي) . يفنقر الكتاب إلى التنظيم والترتيب ، وعدم هضم الموضوعات . فهل ينقل مقالات كاملة لآخرين . وليس هكذا يكون التأليف ، ومن الأمثلة على ذلك نقله مقالا كاملاً للدكتور أحمد موسى عن تزويق المخطوطات الإسلامية استغرق الصفحات من ٧١ إلى ٧٦ ، ثم يتلو مباشرة مقال كامل أيضاً للدكتور جمال محرز عن تذهيب المصاحف من صفحة ٧٧ إلى ص ٧٩ ، والأمثلة الأخرى عديدة . وهو يقع في التكرار المخل عندما يذكر في أكثر من موضع تحريم الإسلام لبعض الفنون ثم أن الكاتب لديه ولع شديد بالدعاية لنفسه . حتى أنه يثبت المكاتبات الرسمية الصادرة له من رئيسه في العمل بخصوص عمل فهارس لموسوعة صبح الأعشى .

ومن نقاط النقد التي توجه للكتاب ، وأيضاً لدار النشر أن الكتاب وهو يتحدث عن الفنون التشكيلية ، واستخدام الألوان المختلفة ، والتذهيب ، والزخرفة ، لم يحو أي صورة ملونة .

لكن المؤلف من ناحية أخرى قام بجهد مشكور ، من خلال إطلاعه على العديد من المخطوطات العربية ، وأجتهده على قدر طاقته ليضيف للمكتبة العربية ما يؤخذ منه للتراث □

آمال حسين بغداددي / القاهرة



فَزِيدُ مِنَ الرُّسُومَاتِ وَاللُّوْحَاتِ الْفَائِزَةِ فِي مَسَابَقَةِ الرَّمَكُو الْأَطْفَالِ فِي الرَّمْرِ وَالتَّصْمِيمِ

بلغ عددها واحدة وأربعين لوحة ، مع أسماء الأطفال الفائزين والمدارس التي ينتمون إليها .. وإدارة العلاقات العامة بأرامكو . إذ انتهى الأطفال الفائزين في هذه المسابقة الفنية ، لتأمل في أن تواصل . بإذن الله . تنظيم المزيد من هذه المسابقات وذلك تشجيعاً منها لتنمية المواهب الفنية لدى أطفال المدارس في المملكة العربية السعودية .

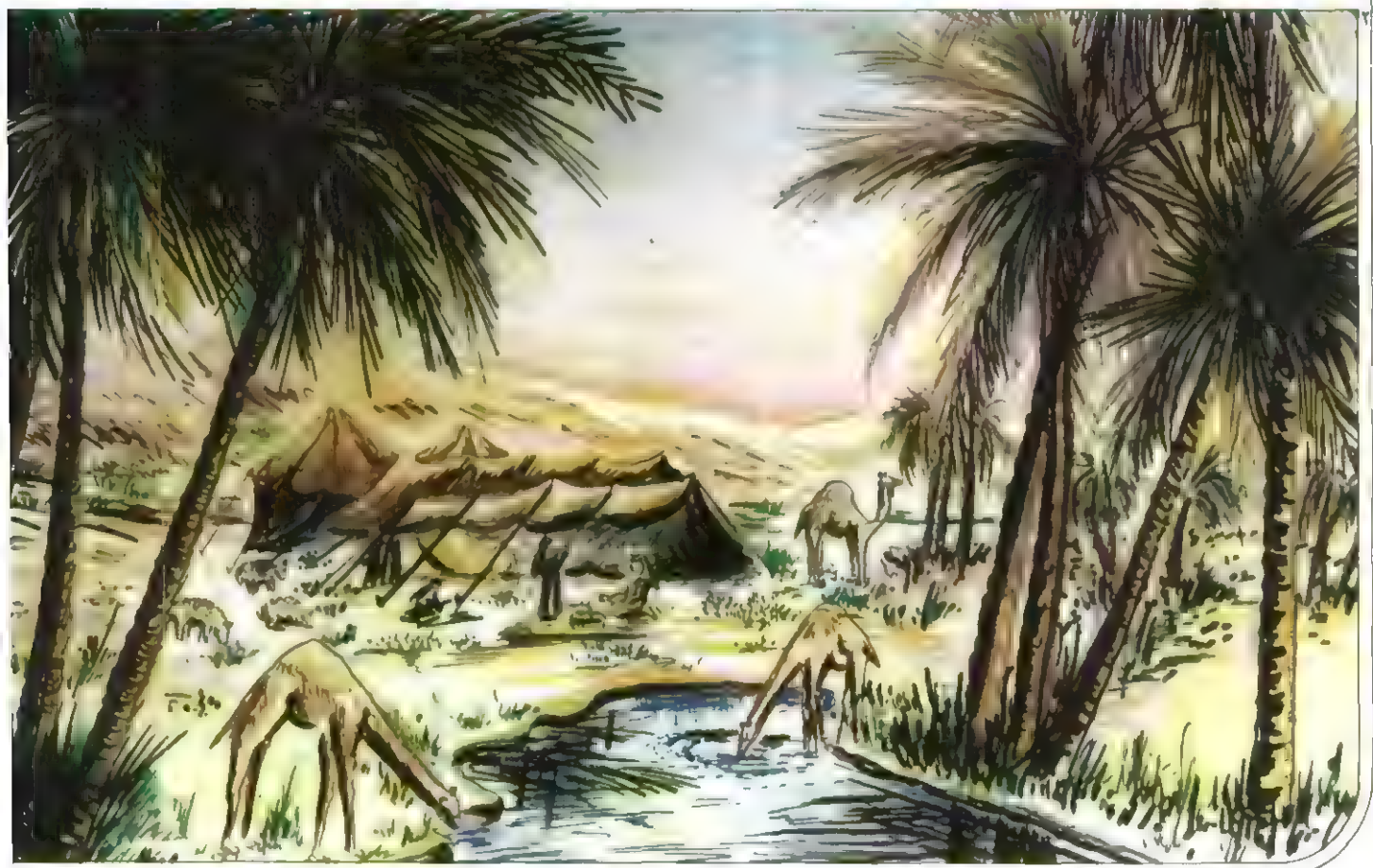
في عدد شوال الفائت نشرت « القافلة » مجموعة من الرسوم واللوحات التي وقع عليها الاختيار من بين ما يربو على ١٣٠٠ لوحة قام برسمها أطفال من مختلف مدارس المملكة العربية السعودية اشتركوا في المسابقة الفنية . وعلى هذه الصفحات يطالع القارئ مجموعة أخرى من اللوحات الفنية الفائزة التي

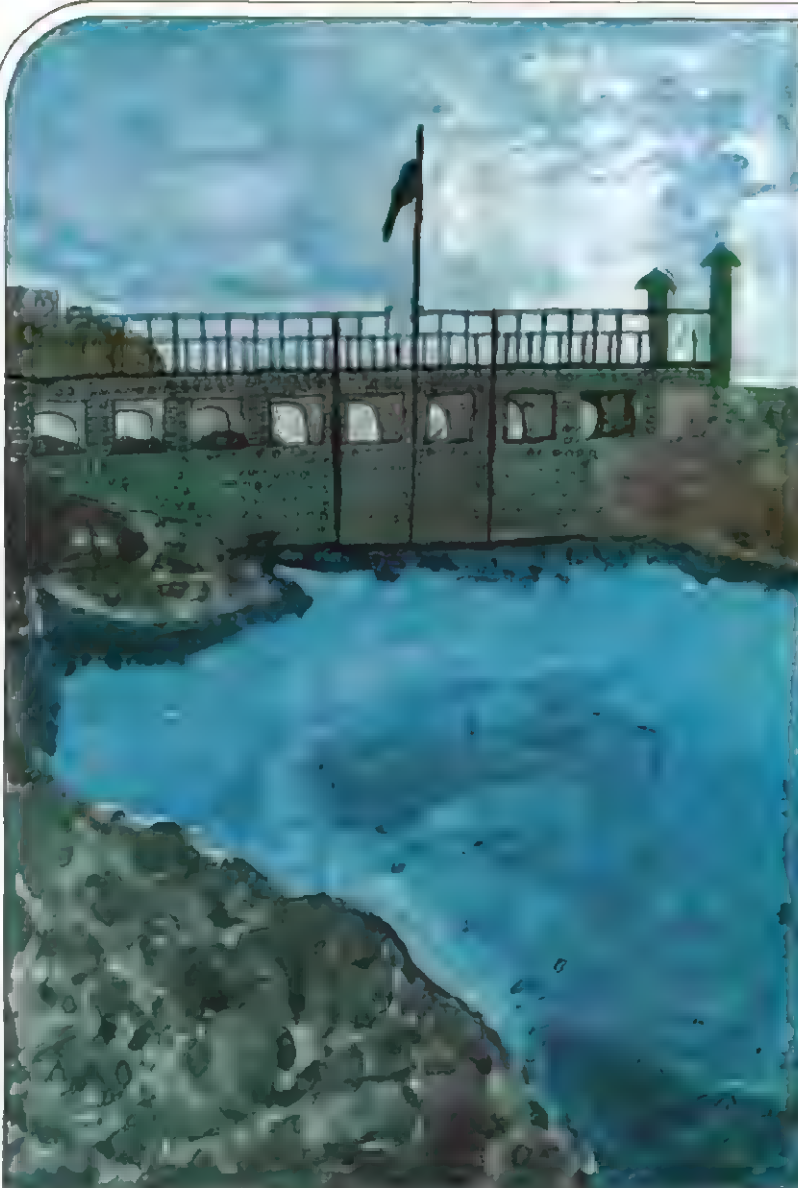


١ - مدارس الرياض الأهلية ص . ب . ١٥٤١
الاسم : ياسين فبصر محمد عاتني
العمر : ١٣ سنة .

٢ - الاسم : حسام محمد رشاد هدام
العمر : ١٢ عام
العنوان : لكتور محمد رشاد هدام
اسم المدرسة : الحفظ الابتدائية - طائف

٣ - الاسم : مازن محمد صالح المغنوث
الموضوع : أحد مظاهر نهضة حديثة في العمران
العمر : ١٤ سنة
المدرسة : العامة المتوسطة بدمام





١- الاسم : نبيل أحمد بوشيت

العمر : ١٤ سنة

المدرسة : المتوسطة بالدمام

٢- الاسم : محمد وائل أحمد الباني

العمر : ١٢ سنة

العنوان : مدرسة الخبر المتوسطة النموذجية .

٣- اسم المتسابقة : مي سالم مبارك الدوسري

العمر : ١٢ سنة

العنوان : ارامكو - الظهران

حي المنيرة - ص.ب : ٣٤٧٥

٤- الاسم : صفية امير حنين محمد

المدرسة : السادسة عشر الابتدائية

العمر : احدى عشر سنة (١١)

عنوان : المدينة المنورة

٥- الاسم : جمال عبدالله الهويش

العمر : ١٤ سنة .

المدرسة : الفيصل المتوسطة بالدمام .

✱ مارالت حركة تحقيق التراث ناشطة على الرغم من أنها فقدت ركنا ركيناً من أركانها بوفاة العلامة الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في ١١ يناير ١٩٨١ الذي حقق بمفرده ما يريد على خمسين كتاباً من أمهات الكتب العربية . منها « الأغاني » بأجزائه التي تتجاوز العشرين . و « تاريخ الطبري » بأجزائه التي تتجاوز العشرة و « شرح نهج البلاغة » بأجزائه العشرين .

ومن الكتب التي حققت أخيراً « مناقب الإمام أحمد بن حنبل » لابن الجوزي . تحقيق الدكتور عبد الله التركي ونشر مكتبة الخانجي . و « مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة » للجلال الدين السيوطي الشافعي ونشر دار الحرية . و « نثر الدرر » للوزير الكاتب أبي سعيد منصور بن الحسين الآبي . وقد صدر جزؤه الأول بتحقيق الأستاذ محمد علي قرنة ومراجعة الأستاذ الراحل علي محمد الجاوي . وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب . و « ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب » وهو في جزئين للوزير المغربي ابن الخطيب . وقد حققه الأستاذ محمد عبد الله عنان ونشرته مكتبة الخانجي . و « خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب » لابن عبد الرحمن أحمد النسائي ونشر دار الحرية . و « رسائل الجاحظ » في أربعة أجزاء من تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ونشر مكتبة الخانجي . و « مختصر من تفسير الإمام الطبري » من تحقيق الأستاذ محمد حسن أبو العزم ومراجعة الدكتور جودة هلال ونشر الهيئة المصرية وهو في جزئين .

✱ يعكف الدكتور حسين مجيب المصري على إعداد قاموسين كبيرين . أحدهما قاموس تركي / عربي . والآخر قاموس للأمثال التركية والعربية . وسينشر المعجمان عن دار الحكمة في استنبول . والدكتور المصري . على تخصصه في اللغتين الفارسية والتركية . يجيد اللغات الأنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية .

✱ في علم الجمال صدرت ثلاثة كتب جديدة عن مكتبة الأنجلو هي « علم الجمال » للدكتور عبد الفتاح الديري . و « علم الجمال

في الفلسفة المعاصرة » . و « دراسات في علم الجمال » وهما من تأليف الأستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد .

✱ في الأدب واللغة صدرت طائفة من الكتب الجديدة منها « مقدمة في فقه اللغة » للدكتور لويس عوض ونشر الهيئة المصرية . و « دراسات في التراث العربي » للدكتور محمد عبد القادر أحمد ونشر مكتبة الأنجلو المصرية . و « الشعر الحديث في الحجاز » للأستاذ عبد الرحمن أبو بكر ونشر الهيئة المصرية . و « دراسة في مصادر الأدب » للدكتور الطاهر أحمد مكّي ونشر دار المعارف . و « عن اللغة والأدب والنقد » للدكتور محمد أحمد العزب ونشر مؤسسة سجل العرب . و « النقد والبلاغة » للدكتور عبد القادر القط ونشر دار المعارف . و « خصائص الأدب العربي » للأستاذ أنور الجندي ونشر دار الاعتصام . و « النقد الأدبي الحديث ورواده » للدكتور زغلول سلام ونشر منشأة المعارف بالاسكندرية . و « نظرية البنائية في النقد الأدبي » للدكتور صلاح فضل ونشر مكتبة الأنجلو المصرية .

✱ من الدراسات المتعلقة بالمسرح التي صدرت أخيراً : « الإخراج المسرحي » لكارل المزويرث وترجمة الأستاذ أمين سلامة ونشر مكتبة الأنجلو . و « المسرح الكوميدي من نجيب الريحاني إلى اليوم » للأستاذ محمد فكري ونشر دار الهلال . و « صرخات فوق المسرح » للأستاذ فتحي العشري ونشر دار المعارف .

✱ بدأت دار المستقبل تصدر سلسلة من الكتب عنوانها « الأساس » تمثل كتب المصادر الرئيسية في أبواب المعرفة المختلفة . وقد افتتحت هذه السلسلة بكتاب عن « معالم تاريخ المغرب والأندلس » للدكتور حسين مؤنس .

وصدرت أخيراً كتب جديدة عن المغرب منها « من التراث الأدبي في المغرب » للدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة ونشر عالم الكتب . و « الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس » للدكتور حسن علي حسن ونشر مكتبة الخانجي .

✱ في دوحة الشعر صدرت الدواوين التالية : « ديوان النيل » ويتضمن ما قاله الشعراء في هذا النهر ، وقد قدم له الشاعر الأستاذ حسن كامل الصبري وصدر عن الهيئة المصرية ، وديوان « موكب الذكريات » للشاعر الدكتور مختار الوكيل ونشر دار المعارف . و « صدى الأيام » للشاعر الدكتور محمد رجب البيومي وقد صدر عن مطبعة الرضاء . و « ديوان الحب في زماننا » للشاعرة وفاء وجدي ونشر افئدة المصرية . و « الغرفة الخالية » للشاعر خليل فواز .

✱ ومن الدراسات المتعلقة بالشعر التي صدرت حديثاً « الرويا الإبداعية في شعر المهشري » للدكتور عبد العزيز شرف ونشر دار المعارف في سلسلة « اقرأ » .

✱ صدر للعلامة الدكتور زكي نجيب محمود كتاب كبير عنوانه « هذا العصر وثقافته » من توزيع دار المستقبل .

« مؤرخو الجزيرة العربية في العصر الحديث » عنوان الدراسة التي صدرت للأستاذ مصطفى عبد الغني عن دار الموقف العربي .

✱ يتابع الدكتور رؤوف عبيد كنهه التي يعالج فيها مسائل الروح . وقد صدر له أخيراً كتاب « الإتصال بين عالمين » مترجماً عن ماثيو ماننج . ونشرته دار الفكر العربي .

✱ بمناسبة احتفال مجلة « الفكر التونسية » ببوبيلها القاضي لانقضاء ربع قرن على إصدارها ، خصصت عدد نوفمبر ١٩٨٠ للبحوث والدراسات والقصاصات التي قبلت في المهرجان وهي لمنشئي المجلة معالي السيد محمد مزالي . ورئيس تحريرها الأستاذ البشير بن سلامة وطائفة من أدباء الأقطار العربية كالدكتور شكري فيصل والشاعرة طلعت الرفاعي . والدكتور محيي الدين صابر ، والأستاذ الحبيب شيبوب . والشاعر حسين رشيد خريس . والدكتور حسام الخطيب . والأستاذ خليفة التليسي ، والأستاذ الرشيد ادريس . وغيرهم .

ويمثل هذا العدد لا تاريخ « الفكر » وحدها ، بل تاريخ الثقافة التونسية في حقبة مزدهرة من حياتها .

المشكاوات

بقلم: الأستاذ السامح محمد السامح

عيوب في الزجاج الشرقي ، وتختلف ألوان
مينا المشكاوات فمنها الأحمر والأخضر والأزرق ،
والأبيض بلون وردي .

زخارف المشكاوات

تتألف زخارفها من أشكال فنية نباتية
وهندسية ورسوم طيور وجامات تنوسطها وتنخللها
آيات قرآنية وشارات (رنوك) للأمرء الذين أمروا
بصنعها وقفا على بيوت الله وكتابات دعائية لهم .
وقد ورد ذكر المشكاوة في قوله تعالى في سورة
النور : « الله نور السموات والأرض مثل نوره
كمشكاوة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ،
الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة
مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها

كبير منتفخ مسحوب إلى أسفل ينتهي بقاعدة
ترتكز عليها المشكاوة إذا لم تعلق . وبعضها ذو
قاعدة محدبة فلا تستقر على الأرض . ورقبة
المشكاوة على شكل قمع ينتهي بفوهة متسعة ،
ويتراوح عدد السلاسل التي تعلق منها ما بين
ثلاث إلى ست .

وتنتهي العرى أو السلاسل بكرة بيضية
والتي تمثل حلقة الاتصال بين المشكاوة كبيرة
الحجم والسلسلة الرفيعة الطويلة كما توجد التناسق
الذوقي بينهما .

وزجاج المشكاوات أبيض يميل إلى الصفرة
أو الحمرة ، وعلى الرغم من نقاء النقوش المرسومة
بالمينا إلا أنه يلحظ بعض فقاعات الهواء ، لكنها
لا تصل إلى درجة تشويهه ولعلها ترجع إلى

جمع مشكاوة ، وهي غلاف
خارجي من الزجاج المموه
بالمينا ، يوضع فيها مصباح « قنديل أو مسرجة »
مثبت بطرفها ، وهي عبارة عن غطاء لهذا المصباح
الذي يضاء بالزيت . ولكل مشكاوة مقابض
« آذان » في بدنها تشبك فيها ثلاث سلاسل
أو أكثر من نحاس أصفر أو فضة تتلاقى عند
كرة بيضية أو مستديرة الشكل تبدأ عندها السلسلة
التي تعلق بها المشكاوة في السقف .
وتعتبر المشكاوات من أدوات المسجد ،
ولذلك يطلق عليها مصابيح المساجد ، وأحيانا
القناديل . وبسبب علو بنیان المساجد ووجود
القباب في بعض منها من ناحية أخرى ، فقد
كثر استخدامها حيث قام سلاطين وأمرء الممالك
بتشجيع صناعتها .

هذا وقد ازدهرت صناعة الزجاج بمصر
والشام إبان العصرين الأيوبي والملوكي وذلك
بفضل تشجيع ملوكهم وسلاطينهم وأمرائهم ،
فيما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر
الميلاديين . وشهد القرن الرابع عشر الميلادي ،
ازدهارا في صنع التحف من الزجاج المموه بالمينا ،
واشتهرت مراكزه في القاهرة ودمشق وحلب ،
وأقبل الحجاج الأوربيون وكذلك أمرء اليمن
على إقتناء هذه التحف ، كما صدر بعضها إلى
الصين . وعقب استيلاء « تيمورلنك » على
دمشق وحلب « ١٤٠٢ م » ، نقل مهرة الصناع
إلى سمرقند محاولا نشر هذه الصناعة في بلاده
لكنه فشل .

والمينا هي عبارة عن بودرة زجاجية مصبوبة ،
فحينما تصنع الآنية أو المشكاوة ، ويحدد الصانع
الزخارف ، ثم يقوم بتذهيب القطعة ، وبعدها
تحدد بخطين بالمينا الحمراء ، ثم تملأ المينا
بخطوط مختلفة الألوان .

ولف المشكاوة

المشكاوة هي إناء زجاجي ذو شكل كروي



مشكاوة من الزجاج المموه بالمينا ، تحمل زخارف كتابية وهندسية ورنوك ، تنسب للمصر المملوكي بمصر والشام .

ومع أن هذه الأسباب تبدو معقولة لدى الكثيرين ألا أنها في نظر البعض الآخر ليست مطلقة الدلالة . فيذكر « القزويني » أن الزجاج كان يستورد من مسافات بعيدة ومنه زجاجيات حلب ، تحمل إلى سائر البلاد كهدايا على شكل تحف على حد وصفه . ورغم عراقية مصر في صناعة الزجاج فإن ذلك ليس كافياً . كما أن موضوع الكتابات ليس مطلقاً أيضاً إذ يمكن التوصية بنقش كتابات وأدعية معينة على التحفة . أما البرهان الثالث فيما يتعلق بالزخرفة فإن الرد عليه يسير بإنتقال الأساليب الزخرفية بسهولة بين مراكز الفنون الإسلامية بشتى طرق الإتصال .

ويستند البعض إلى موضوع النقش ، وينسب المشكاوات إلى مصر المملوكية تجنباً للتكلفة . ويؤكدون على أن زخارف تلك المشكاوات تتشابه وزخارف العمائر والتحف في هذه الفترة وهذا ينطبق . في رأيهم . بوضوح على مشكاة السلطان حسن التي تزينها زخارف تنفق وزخارف تربته .

ويذهب البعض إلى أن البت في موطن صناعة المشكاوات يتطلب التحليل المختبري لمواد صناعة الزجاج . وعلى الرغم من أن المواد واحدة في مختلف الأقطار فإن المواد المساعدة تختلف من قطر إلى آخر . يضاف إلى ذلك أن نسبة السليكات في الرمل تختلف هي الأخرى . وللتدليل على ذلك فإن تحليل زجاج إسلامي مصري يرجع للقرن الثامن الميلادي قد كشف النسب التالية : سليكات ٧١.٤ ، أكسيد صوديوم ١٦.٩٨ ، أكسيد بوتاسيوم ١٠.٢٧ ، أكسيد كلسيوم ٢.٧٤ ، أكسيد ألومنيوم ٤.٧٥ ، أكسيد حديد ٢.٠٢ ، أكسيد كبريت ٠.١٢ ، ماء ٠.٢٨ .

ويذهب زكي حسن إلى أن مصر والشام إبان العصر المملوكي كونتا في الغالب دولة واحدة ولبلدين عراقية في صناعة الزجاج ، ونظراً لطبيعة تلك التحف من القابلية للكسر . فإنه يرى عدم وجود مبرر لتركيز تلك الصناعة في إقليم دون آخر . ويخلص إلى أن هذه الصناعة ذات التكاليف الباهظة ازدهرت في البلدين معا حيث شهدت أزهى فترة رقي لها في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي □

اسماعيل أحمد اسماعيل حافظ / مكة المكرمة



مشكاة من الزجاج الموه بالميناء ، عليها زخارف كتابية ونباتية ورنوك . من جامع السلطان بربوق بالقاهرة

العمل اليومي الشاق خاصة إذا ما علمنا بارتفاع أسطح مساجد ومدارس العصر .

مطالبة لجنة المشكاوات

لقد أدى تحديد اقليم صناعة المشكاوات إلى تضارب آراء المهتمين بالآثار فمنهم من يرجعها إلى سورية لنهضة صناعات الزجاج بها إبان العصر الوسيط . إلا أن الدكتور « زكي حسن » يرى أن الأخذ بهذا الرأي يجعلنا ننسب معظم المشكاوات للقرن الثامن الهجري وبالتالي تنسب للغزوات المغولية ، إذ أن « تيمورلنك » استولى على دمشق سنة ٨٠٣ هـ ونقل مهرة الصناعات إلى سمرقند كما أشرنا سابقاً .

وأصحاب الرأي المتقدم يعللون ندرة المشكاوات في القرن الثالث عشر الميلادي إلى قيام الحروب الصليبية في المنطقة والتي أدت إلى إنقطاع الاتصال بين مصر والشام . ومع الرأي السابق يرجع البعض استخدام التذهيب والتمويه بالميناء على المشكاوات إلى أصول سورية ، لكن « ماكس هاينز » و« تبعه » ادوارد كارينر وغيرهما يرون أن أصلها مصر ، ويعتمد في التدليل على رأيه إلى حجج ثلاث :

- عدم استساعة استيراد مثل هذه التحف القابلة للكسر أثناء النقل .
- خصائص ونقاء العناصر الزخرفية .
- الكتابات المنقوشة على المشكاوات .

بضيء ولو لم تمسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم .

فمن تلك الآية استلهم الفنان المسلم اسم المشكاة وشكلها وأبدع في كتابة الآيات القرآنية على فوهتها ووسطها تزينها زخارف عربية ممثلة في أشكال نباتية وهندسية بديعة .

ويمكن القول أن زخارف المشكاوات تتناسب والوسط الديني الذي صنعت من أجله . حيث تزينها كتابات مملوكية وآيات قرآنية وعبارات دعائية ونصوص تاريخية بالخط النسخ والكوفي المضفر ، ويلاحظ شيوع الأخطاء الخطية على هذه التحف النفيسة . وتعتبر تلك الكتابات والنقوش مصدراً أساسياً للعديد من الدراسات التاريخية والأثرية ، وترجمة لثقافة ومجتمع العصر ومدى رفاهيته وإزدهار حضارته . ونشير في هذا المجال إلى المشكاوات المزخرفة بأشكال نباتية وآيات قرآنية لكنها ليست مصنوعة من الزجاج الموه بالميناء كالتى صنعت من الخزف من أنواع رودس وازنك . وذات ثلاثة مقابض .

رعاية المالك لصناعة المشكاوات

زينت مساجد ومدارس مصر والشام في عصر المماليك بروائع المشكاوات المصنوعة من الزجاج الموه بالميناء . ويوجد نحو ستين منها محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة وأخرى في متحف المتروبوليتان بنيويورك . وبعضها بمتاحف فيكتوريا والبرت ، والمتحف البريطاني بلندن ، والوفر بفرنسا ، بخلاف باقي المجموعات الخاصة . وتؤكد لنا وثائق العصر المملوكي مدى الاهتمام بالمشكاوات فكان يخصص في كل مسجد حجرة لحفظ المشكاوات وأدوات إبقادها وصيانتها سميت « حاصل القناديل » . بخلاف حجرة « حاصل الزيت » لتخزين الزيت اللازم لإضاءة المشكاة على مدار العام ، كما كانت بالمسجد النبوي الشريف . بل استحدثت في هذا العصر وظائف « أمين الزيت » و « الوقاد » أو « القنديلجي » الذي يقوم بمراقبة إضاءة المشكاوات وإصلاح أعطالها ، ولشاغل هذه الوظيفة متطلبات الإلمام بمعرفة أنواع الزيت النقية التي لا تثير مخلفات الدخان وتمثل في زيت الزيتون ، بالإضافة إلى قدرته الصحية على هذا



١ - مشكاة من الزجاج المذهب والمموه بالمينا ، من صناعة سوريا ، من القرن الثالث عشر الميلادي .

٢ - مشكاة من الزجاج المموه بالمينا ترتفع بمقدار ٣٠ سم ، عليها زخارف كتابية ونباتية ورنوك ، يقرأ منها (... هذا ما أوقفه العبد الفقير إلى ...) من صناعة سوريا وكانت تخص أحد كبار جند السلطان محمد بن قلاوون .

٣ - مشكاة من الزجاج المموه بالمينا من صناعة مصر تحمل كتابات ورنوك ، صنعت لأحد أمراء الناصر محمد ومن القابه على المشكاة (الجليس الملكي الناصري) وعلى رقبة المشكاة آيات قرآنية .

٤ - مشكاة ملونة من خزف إزنك ، تحمل زخارف كتابية ونباتية من مسجد السلمانية في استانبول ، تنسب للقرن السادس عشر الميلادي .

